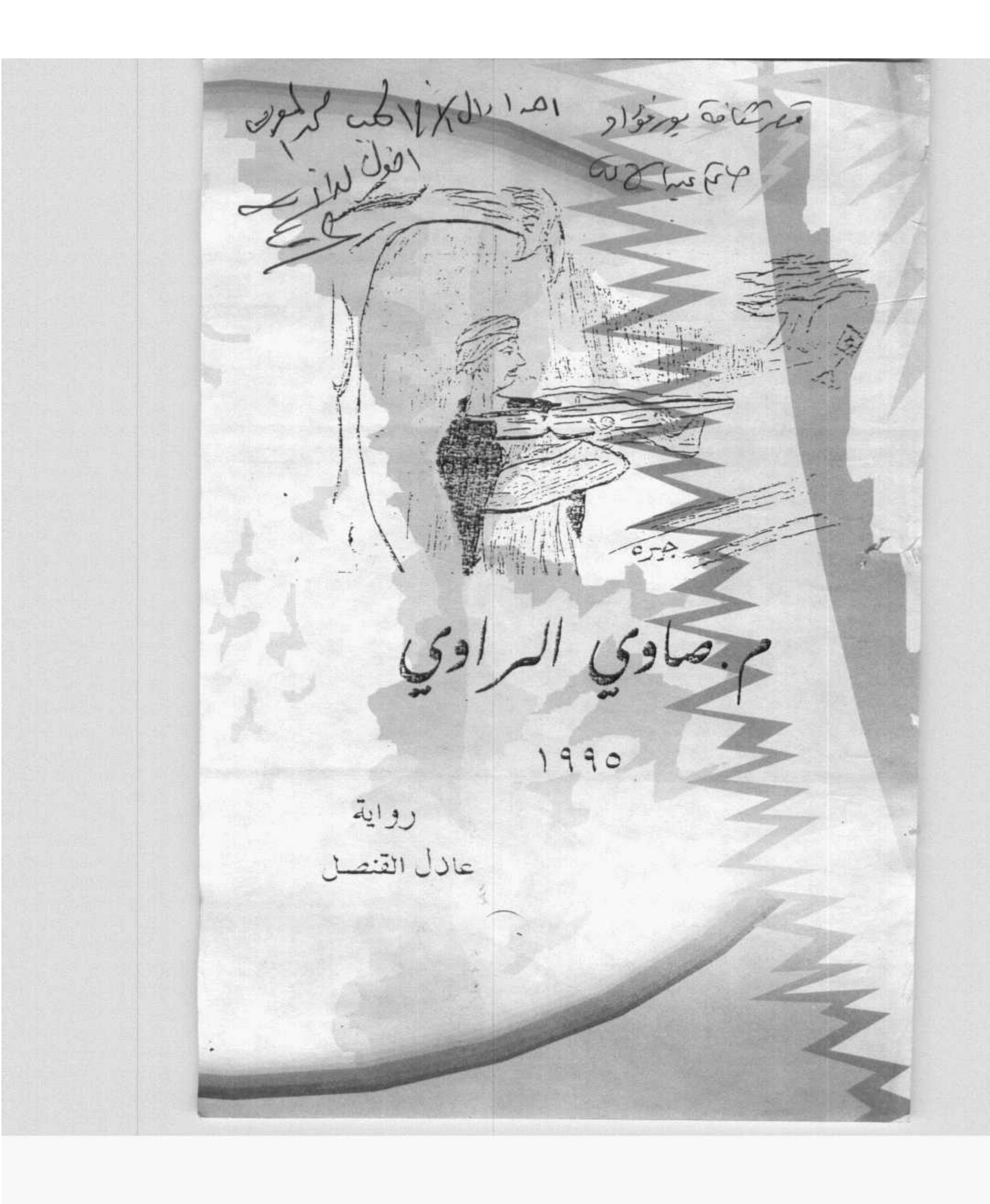

م. صاوي الراوي
١٩٩٥
رواية
عادل القنصل

# م.صاوي الراوي
# ١٩٩٥

١٦/٢/٢٠٠٥

في ذلـــك النجع..في مدينة مترامية الأطراف بصعيد مصر..جغرافية المكـــان تجعله شديد الوعورة..الجبل يظل المكان..ظل لا يرضى عن أهلـــه..لكـــنهم تعـــودوا على الحياة القاسية..الحر الشديد والبرد القـــارس..الـــزواحف والحشـــرات تهـــبط علـــيهم مـــن ذلـــك الجـــبل..طريشة..دفان..عقارب..فتتعالى صرخات الكبار والصغار علـــى اثر لدغات تلك الزواحف..الوحدة الصحية فقيرة..كالبلدة وأهلـــها..لا تـــوجد أدوية دائماً..الطبيب "متزوغ" فهو من الأطباء المغضوب عليهم..منقول من بحري لقبلي رغماً عنه..لا مستقبل لمهنته في تلك الأماكن..عليه أن يعيش حياته بالطريقة التي يريدها لنفسه.

"صـــاوي خلوصي الراوي"..ولد في ذلك النجع..كان الابن البكر لأب يعمـــل مـــزار عاً بالأجر..في نجع مجاور..بلدهم لا تزرع..كل

أهلـــها يتنقلون بين النجوع المختلفة التي تجاورهم..أو على الأكثر العمـــل بـــندر أسيوط..والأعمال دائماً تافهة..عمال نظافة..خفر بشركات المقاولات المعمارية.

والكثير طردهم النجع إلى بلاد بعيدة..خارج القطر..وداخله..كان الأب يقول:

– الـــبطون تـــتطلع وتملى النجع ولما يشتد عودهم يطردهم براها.

لا يوجد في البلدة من أبنائها الذين تعلموا..سوى طبيب فتح عيادته في الـــنجع لـــيعالج الأهالي بأقل الأسعار..والآخر محام له مكتب في البلدة..ومحور قضاياه في مدينة أسيوط..الاثنان ظلا في البلد على غير عادة أهلها إيماناً منهما بحبهما لبلدهما الفقيرة وولائهما لها.

دخلـــت الكهـــرباء والمـــياه الجاريـــة في ١٩٧٧..يـــوم أن ولد "صاوي"..دخلت بيوت القادرين..وعددهم قليل للغاية..لا يملكون مـــا يمكـــنهم مـــن إدخالها لبيتهم المبني من الطوب اللبن ومسقوف بالخشـــب..حجراته اثنتان علاوة على قاعة بها الفرن الذي يمثل لهم الحـــد الأدنى مـــن الحياة..بل كل الحياة من خبز عادة يأكلونه دون خضـــار أو لحم..فهم يعيشون على حد الكفاف..يأكلون الخضار مما

يجلبه الأب بعد انتهاء العمل استجداءً من أصحاب الأراضي في النجوع المجاورة..يأكلون اللحم في المواسم..أيضاً استجداء من أحد كبار البلدة الذي انعم الله عليه من جراء سفره للعراق.
تزداد البيوت بعدد الطيور المهاجرة من أولادها الذين يعملون بالمعمار والزراعة سواء في بلاد عربية أو أجنبية..حلم "صاوي" هو أن يلحق بهم بعد انتهاء فترة تجنيده.

٢

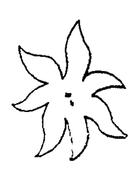
بيتهم الصغير يحتويهم..الأب "خلوصي" في الأربعين من عمره والأم "فضيلة" في الثلاثين من عمرها..وشقيقيه "محمود" و"مسعود" في السابعة والثامنة..وشقيقته "قمر" في العاشرة.
يومهم يبدأ ليلاً من الساعة الثانية صباحاً..حيث ينهض الأب في خفة ليصل إلى النجع المجاور فجراً سيراً على الأقدام..ويعود بعد صلاة العشاء لينتهي يومهم بالنوم في العاشرة مساءاً صيفاً والثامنة شتاءً..الأم وابنتها تجدلان الأقفاص والمقاطف ليبيعها الأب في السوق الكبير بمدينة أسيوط التي تبعد عنهم ما يقرب من العشرين

كيلو..حياتهم تسير على نفس الوتيرة..وهم جميعاً راضون عما قسمه الله لهم من رزق مستسلمون لقضائه وقدره.

وسـرعان ما تغير الحال عندما رقد الأب على اثر إصابته في حادث أثـناء تـوجهه للأرض التي يعمل بها مزارعاً..مما استتبع معه خروج "صـاوي" مـن المدرسـة..التي كانت حلمه ومنتهاه..كان تلميذا نابغاً..حفظ عشرة أجزاء من كتاب الله..ماهر في العمليات الحسابية. مـرض أبوه قضى على حلمه بالتفكير للسفر بالخارج وعليه أن يحل محل أبيه..مزارعاً في نفس الأرض بيومية تكاد تقيم أودهم..يشعرون بالأمان عندما تقع أنظارهم على جوال الدقيق الذي يمثل الحد الأدنى للحـياة من رغيف تخبزه الأم..حالهم مثل حال اغلب سكان النجع الصغير الفقير.

٣

كـان وقـتها في الثانية عشر..الشقاء الذي يعانيه أضاف إلى عمره سـنوات..يخيل لك انه رجل عجوز رغم صلابة بنيته..حمل الأسرة كـبير..والمستقبل مجهول مخيف..على كاهله يقع عبء تربية أخوته الصـبية وسـتر أخـته البـنت.يدخر قدر إمكانه ما يوفيه لزواجها.



يحل الشهر الفضيل..جميعهم يصومون إيماناً واحتساباً..وحساباً لقلة الزاد..فهي "طقة" واحدة يتناولونها ويعلق الصغير "محمود" قائلاً في براءة:

- الشيخ علمنا في الكُتاب إن الصوم ربنا فرضه..عشان يحس الغني بالفقير..واهو إحنا فقرا وبرضه بنصوم..هنحس بإحساس مين.

يرفعون جميعهم أيديهم حمداً وشكراً ويستظلون بظل الشهر الفضيل..وأهل الخير رغم قلتهم لا يتوانون عن مساعدتهم هم وأهل النجع..وقد تصادف قرب انتخابات مجلس الشعب..فزار النجع النائب المرشح من النجع المجاور..ليوزع عليهم الزيت والسمن والدقيق..والجميع يتقاتلون أمام السيارة النقل التي توزع خيرات الله عليهم..يقف "صاوي" ينظر إليهم ودموعه تفر من عينيه ويقول في نفسه:

- ليه إحنا فقرا..والنجع كمان اغلبه فقرا..أي عدالة بتحكم البشر؟!

ثم يستعيذ بقراءة ايات الله التامات ويستغفر ربه..لعل الفرج يأتي يوماً من عنده.

٧

أضافت الأيام بقسوتها عاماً آخر على عمره فأصبح في الثالثة عشر..لا يعرف صيفه من شتائه ولا نهاره من ليله..دوامه يتحرك من خلالها فيدخل هو وأهل بلدته في طيات النسيان وتضيع وعود عضو الدائرة بتحسين أحوالهم المعيشية..كانت وعوده الزائفة كثيرة..سيبني مصنعاً..وسيزرع الأرض المتاخمة للجبل..سيجد كل من في البلد فرصة للعمل..فيتعلقون بالآمال حتى تذوب حباها فيسقطون للقاع..فكره ذلك الرجل.

ولم تكتف البيئة القاسية..بقسوتها وطبيعة تكوينها الجغرافي بل يزيد البلاء فتسقط السيول من أعلى الجبل..لتغرق البيوت الصغيرة..فينامون أياماً في العراء..ويأتي المسئول ويلتفون حوله..يريدون إنقاذهم مما هم فيه..يقول في تأكيد:

– بسرعة..بأقصى سرعة هنتصرف..وهنعوضكم..وعربية عيش هتيجي كل يوم توزع عليكم العيش لحد ما ترجعوا لبيوتكم.

لا يستحق شيء من كلامه..تأتي سيارة نقل محملة بخبز رديء مما يسمونه الناس "عيش رجوع" فيتقاتل عليه أهل النجع "الشاطر اللي يلحق" خبزاً يكفيه نصف يوم.

ينظر "صاوي" إلى بيتهم وقد أغرقته المياه..ابتعت فرشتهم البسيطة..ضاع الباقي من جوال الدقيق في المياه فأصابه العفن.

الناس يصرخون وتضيع أصواتهم في الهواء هباءً..وتتولى الصحف القومية بالمانشيتات العريضة بالسيطرة على الموقف وعادة الحال لما كان عليه..أكاذيب..وتكون الكارثة..وينتشر مرض الملاريا..ويقطف أصغر زهور الأسرة "محمود"..نقل مع المئات في عربات نقل إلى المستشفى الأميري بأسيوط..لا أسرة..لا علاج..لا أمل..يموت المئات من الأطفال ويزداد الطين بلة..ويعم الخراب..العيش في العراء..الجوع..المرض..الوعود الكاذبة..السلبية المطلقة.

اشتد ظلام ذلك النجع..لا بصيص لأمل بعد أن فقد أهاليه فلذات أكبادهم..واتشحت النساء بالسواد..فبدت البلدة كمدينة للأشباح

يتحـــرك فـــيها الســـواد لـــيلاً نهاراً..يشقون ملابسهم..يقدحون الآهات..وكانت "فضيلة" تبكي ليلا ونهاراً..انتقص فرد من الأسرة وانتقصت كمية طعامه من جوال الدقيق..الذي تغترف منه وتلقي به علـــى رأسها..لا مذاق للطعام وأحشائها موقدة بالنيران..هم راضون بالحياة الجدباء مع وجودهم مع بعضهم كأفراد يتحركون في المساحة الضـــيقة للبـــيت..صورته وبراءته لا تفارقهم..لم يحلم أو يتمنى غير الوجـــود على البسيطة..انتهى وجوده وقبرت ضحكاته التي كانت تجلجل في صحن البيت.

المسئولون يلقون اللوم على الأهالي الذين تأخروا في إرسال أولادهم للمستشـــفى..التي تبعد عشرين كيلومتراً وليست عدة أمتار..نقلوا فـــيها كالبهائم وعادوا على ظهورهم جثثاً..فتحت القبور أفواهها لتبـــتلعهم كل ذلك يشحن "صاوي" بالحقد والكراهية تجاه الحكومة الـــتي قال أبوه يوماً أنها غطاؤهم وسترهم..هم أولادها..ولكن أولاد من الحرام.

في الرابعة عشرة..يشتد عوده ليعاند قسوة الأيام وجفاء الحياة..يعود

مـــن العمـــل ليلاً ليلحق بالمصلين لأداء صلاة العشاء جماعة..اغلب المصـــلين يـــرفعون أيـــاديهم بالدعاء..لعل الله يتقبل دعاؤهم وتنفك كـــربتهم مـــن الحـــياة الفقـــيرة التي تدق أعناقهم وتزيدهم خنوعاً وخضوعاً لقسوة الحياة في النجع الفقير.

لاحظ أن بعض المصلين من الشباب قد أطلقوا لحاهم..يتجمعون بعد الصـــلاة..يتهامســـون في حـــرص..يلتقط بعضاً من كلامهم وهم يقولون:

- إحـــنا عايشـــين في دولة ظالمة..ناس فيها عايشة وناس ميتة بالحيا والمسكنة والذلة..الخلاص بالتحرك.

سمع أحدهم يردد عليهم ويقول بوجه مكفهر:

- قريب هتسمعوا خبر خير ويزول الخزي والعار وهيسقطوا واحد ورا واحد.

أصابته الدهشة من حديثهم الذي لم يفهم منه شيئاً.اللهم انهم يعدون لشـــيء غير معلوم..مشهد لم يعتد رؤيته من قبل في بلدتهم الصغيرة الفقيرة.

١٠

لم تمـــر أيام إلا وحضرت سيارات كثيرة..بعضها يحمل أرقام ملاكي

والبعض الآخر يحمل لوحات شرطة.

كـــان عائـــداً من العمل وفي طريقه إلى المسجد..وسرعان ما رآهم يـــتوجهون ناحيته ويخرجون مجموعة من الشبان الذين اعتاد رؤيتهم وهم يطلقون لحاهم ويتحدثون في سرية عقب الصلاة..يقودونهم إلى السيارات ولا أحد يعرف وجهتهم.

١١

الـــيوم التالي..لا يتردد على المسجد من يطلقون لحاهم..سأل شيخ المسجد عما جرى..قال له في خوف:

- خلـــيك في حالـــك..صـــلي الفرض وروح على بيتك يا صاولي..أنت غلبان وأبوك اغلب.

شـــعر أن شـــيئاً غير عادي سيحدث في بلدهم..فالشباب الملتحون لم يعـــودوا مـــن حـــيث ذهـــبوا..وكثـــرت الأقاويل الهامسة..انهم إرهابيون..هكذا يطلق عليهم من قبل الحكومة..كانوا يعدون للقيام بأعمال مناهضة للدولة..قالوا أن أحد أهل البلدة أرشد عنهم.

كـــان يعود من عمله ويقبع في البيت..لا يتوجه للمسجد أبدا..حرم

عليه دخول بيت الله..من الجاني هم..أم الحكومة؟! والحكومة لم تمنع المصلين من أداء فرائضهم..ولكن عيونها لم تغفل عنهم.
يصرخ من داخله ويقول لماذا جئت إلى هذه الدنيا الظالمة بحياتها الجدباء..نحن نحيا مرة واحدة..لماذا نحياها في جهنم الأرضية وقد نلحق بها في جهنم السماوية.

١٢

طلب منه صاحب الأرض التي يعمل بها..إخبار أبيه انه رشحه لخفرة ماكينة المياه الجديدة..فكانت فرصة لا تعوض..ولكن ذلك يعني أن الأب..سيبات لياليه خارج بيت الأسرة..الخفرة تبدأ من المساء حتى صباح اليوم التالي..اجرها يعينهم على الحياة مع ما يحصل عليه من أجرمن زراعة تلك الأرض.
فلم يتوان الأب وتقبل العمل الجديد تحت عبء الظروف الجوية المختلفة من حر وبرد قارس..يذهب مع غروب الشمس ويعود مع شروقها..مما دفع الدموية في وجه أفراد الأسرة..ونظرة جديدة ومتفائلة ليخرجوا من كآبة الحياة في النجع.

في السادسة عشرة..اصبح شاباً يافعاً..مقبلاً على الحياة..لا ينغص عليهم حياتهم سوى الذكرى السنوية المريرة للسيل..الذي جرف حياة أحد أفراد الأسرة.

وما ينغص حياة الأم..عدم تقدم عريس لابنتها التي بلغت الرابعة عشرة فأصبحت أنثى بالغة ناضجة العقل والجسد..وكلما أقيم عرساً في النجع يجعلها تكتئب خشية أن يفوت قطار الزواج ابنتها الوحيدة.

والاب يدعو لها بالستر في حياته..و"صاوي" لم يتوان عن ادخار متطلبات بيت زواجها..هذا هو الأمل الذي باتوا يحلمون به وما هي إلا أيام وتقدم لها شاب اعرج من فقراء النجع..والفتاة الصغيرة التزمت الصمت وتحدث نفسها وتقول:

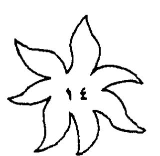
- اللهم لا اعتراض..لكن أصوم أصوم وافطر على بصلة.

وسألها الأب في تحفظ لأخذ رأيها فرفضت..واحترم أبوها رغبتها..لكن الأم تلح عليها قائلة:

- يا بنتي ضل راجل ولا ضل حيطة.

تقول لها ذلك وهي على يقين أن ابنتها تستحق افضل رجال النجع

لجمالها وأخلاقها وحسن تربيتها.




الخـــال "ورداني"..الشقيق الوحيد لأمه.."صاوي" ليس له أعمام أو عمات..يسمع عن ذلك الخال من أمه كثيراً..فقد زارهم عندما كان صغيراً وأحضر له حذاء وجلباباً وقتذاك..لم يره منذ ذلك الحين.

زارهـــم محمـــلاً من خيرات الله لشقيقته..ومكث معهم أسبوعاً..ثم اســتعد للعودة للقاهرة حيث يعمل بواباً لأحد العمارات الشاهقة بحي المهندسين..رجته الأم أن يصطحب معه ابنها "صاوي" ليساعده في عمله ويرزقه الله ليعينهم على الحياة.

صـــافح أمـــه وأباه واخوته..المرة الأولى التي يخرج فيها عن دنيته الصغيرة..واستقر به المقام هو وخاله في قطار الفجر..المرة الأولى التي يـــركبه..ظل يتسامر مع خاله..عرف منه أن مهنة البواب يدفع لها خلو رجل للقائمين على تشغيل أرباب تلك المهنة.

وصـــلا القاهـــرة ليلاً..بهرته المدينة المتسعة..استقلا الأتوبيس حتى وصلا للعمارة التي يعمل بها الخال.

حجـــرة صـــغيرة احتوهم..لها شباك صغير يطل على منور العمارة المكـــونة مـــن خمسة عشر طابق..نام الخال على سريره الضيق وهو افترش الأرض.

١٥

مـــع آذان الفجـــر يســـتيقظ الخـــال..يحضر الجرائد والعيش لكل شـــقة..اصـــطحبه معـــه..لفت نظره أسماء لم يسمعها من قبل..مثل "البسطرمة والمرتدلة واللانشون والخبز الكيزر والبيتي بان".

سأل خاله في تلقائية:

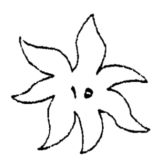
- هو ده العيش يا خال..واسمه ليه غريب كده..هي الناس ما بتاكلش عيش زينا.

ضحك الخال وقال:

- الـــناس في مصـــر شكل تاني..منهم اللي فوق..زي سكان عمارتـــنا..ومـــنهم اللـــي تحت زي اللي ساكنين المناطق العشوائية..أما اللي في عمارتنا..مصاريف العيلة في الشهر قد مصاريف أهل النجع بتاعنا كله.

ثم اكملا جولتهما في السوق..الذي بهرته نظافته وتنوع بضائعه التي لم يرها من قبل..قال في نفسه:

- الناس بتعيش مرة واحدة وما بتكررش..ناس عايشاها فوق وناس عايشاها تحت وتحت أوى كمان.



في خلال أسبوع كان قد اعتاد الذهاب للسوق وحده مما خفف حمل الخـال..الذي كان يغدق عليه..علاوة على ما يتقاضاه من وهبة من سـكان العمـارة..كان يدخرها في علبة مسلي فارغة ويضعها تحت سرير الخال دون علمه.

لفت نظره أن الزبال..يفرز الزبالة ويوزعها في أجولة..على حسب كـل صنف من المخلفات..زجاجات البلاستيك الفارغة والزجاجية والصفيح والأوراق والأقمشة..ومخلفات الطعام في جوال آخر.

سأل الخال الذي قال له:

- ما هو ده من الناس اللي مع الزمان بتبني عمارات زي اللي إحنا فيها..العمارة بتاعتنا صاحبها كان بياع فول على

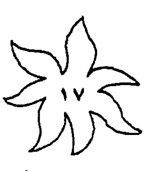
عربية والعمارة اللي لاصقة فينا صاحبها كان زبال..الناس هنا في مصر عفاريت بتعرف تكسب من أي حاجة..حتى الزبالة.

١٦

شغلته هذه الفكرة..بدأ في إحضار أجولة فارغة..ووضعها في المنور..كان يفرز الزبالة قبل حضور الزبال..فكان يصحو من نومه قبل الفجر..وما أن حضر الزبال..اكتشف أن الزبالة قد نفضت مما فيها من أشياء تعني له قيمة..فأصابته الدهشة.

استأذن من خاله وتوجه لمن يبيع هذه الأشياء واحضر من يشتريها منه..فوجئ أن قيمة ما ادخر من مخلفات خلال أسبوع يقدر بخمسين جنيها..مما أغراه بالاستمرار في هذا العمل.

في اليوم التالي..حضر إليه الزبال وابلغه انه على علم بما قام به..وحتى لا تحدث بينهما خلافات..أغراه بشراء تلك المخلفات..فصارت بينهما صحبة..حتى أن الزبال فكر أن يستعين به لفرز مخلفات العمارات المجاورة.



في خلال شهر استطاع أن يدخر مبلغاً كبيراً مما يتقاضاه من وهبة ومما يحصل عليه من فرز المخلفات.

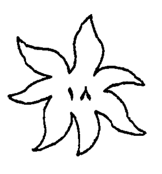
لم يكن الخال على علم بما يفعل..فقد كان في ذلك التوقيت يغط في نوم عميق.

ذهـــب يوم الجمعة إلى مطعم وتناول وجبة كباب..وظل يتذكر أمه وأباه واخوته..تمنى لو شاركوه تلك الوجبة.

ثم تـــوجه إلى السينما..التي يراها للمرة الأولى..جذب انتباهه بطل الفيلم الأجنبي الذي يجيد الرماية بالبندقية على أعدائه..تمنى لو كان مثله.

واتـــته الفرصة حيث دعاه خاله للذهاب لمولد سيدنا الحسين..فلفت انتباهه لعبة "النشان" بالبندقية الرش..جرى عليها وامسك بالبندقية للمـــرة الأولى في حـــياته..أصـــاب الهدف عدة مرات في طلقات متتالـــية..حتى أن صاحب اللعبة دهش..وسمح له باللعب مجاناً حتى يتمتع بطريقة تصويبه.

ذهـــب مع خاله لتناول وجبة الكوارع بالفتة بأحد المطاعم المشهور عنه إجادة هذا الصنف من الطعام..ثم عادا سوياً لعملهما.



في الصباح استرعى انتباهه..فتاة من القاطنين بالعمارة في سن مقاربة لـــه..ظل ينظر إليها من متنفس بداية مراهقته..وكانت الفتاة تنتظر الأتوبيس الخاص بالمدرسة..وعندما تأخر عن موعده..بدأت تتحرك في قلـــق..فاندفـــع ناحيـــتها وســـألها عمـــا إذا كـــان بإمكانــــه مســـاعدتها..فطلـــبت مـــنه أن يســـتوقف لهـــا إحـــدى سيارات الأجرة..فانطلق وفعل.

عيناها شغلته..المرة الأولى التي يتعلق بفتاة..في نجعهم لا يرى الفتيات يخرجن من بيوتهن..وإذا ما صادف ولمح طيف أنثى..فشتان بين بنات المدينة والنجع..ففي المدينة تتحرك الدموية في أجساد الفتيات..فقال في نفسه:

– هـــنا المرعى نضيف..والأكل مفيد..في النجع البنات شبه المعيـــز..أكل ضعيف وفقر شديد في اللقمة والهدمة..والدم كمان.

اختلى بنفسه في الحجرة..ظل يفكر في الحورية التي سقطت عليه من جـــنات عالـــية..حـــركت عواطفه ولم تحرك غريزته في أوج فترة مـــراهقته..قُطعـــت خلـــوته من جرس يأتي من الدور الرابع..شقة

مـــدام "شاهي"..كان الخال في الخارج يشتري بعض الأشياء لسكان العمارة..نهض من على سرير خاله..واستقل الاسانسير وصعد حتى الدور الرابع..ضغط زر الجرس..وجدها تفتح له وترتدي "شورت" ساخن..وتمسك بيديها أداة من الأدوات الرياضية..تمنى لو استطاع أن يُعصـــب عينيه عنها..فهي لم تثره..بقدر ما اشمئز منها رغم فتنتها وجمالها بجسدها البض المشرب بالحمرة.

دعـــته للدخول..تردد ثم دخل..وما أن أغلقت باب الشقة ارتجف قلـــبه وشـــعر انه في سجن لن يفلت من بين قضبانه..طلبت منه أن يحرك معها إحدى قطع الأثاث الثقيلة..فعل..ظلت تنظر له في شهوة عندما نظرت لعضلاته الصغيرة المفتولة..أنهى ما أمرته به..ثم نظرت إلـــيه في شـــهوة..تكـــبره بعشـــرين عـــاماً على الأقل..في سن أمه بالتقـــريب..تصـــبب عرقه واستأذن منها وفتح باب الشقة وجرى مهرولاً.

١٩

في صـــباح الـــيوم التالي..وجدها تنزل بصحبة أبيها..يناديها باسم "دالـــيا"..ركـــبت مع أبيها السيارة ورمقته بنظرة وبسمة..ارتجف

قلـــبه..عاد إلى حجرته متكاسلاً..وظل يفكر فيها..ثم واتته فكرة أن يـــذهب لـــوكالة الـــبلح لشراء بعض الملابس الإفرنجية..وليودع الجلباب.

اشـــترى بـــنطلون "جينز وتي شرت" من الملابس المستعملة..وحذاء "كوتشي"..وبدا شكله مختلفاً تماماً..اصبح وسيماً..شبيهاً بأبناء الحي من الطبقات العليا.

رآه خاله فضحك من قلبه..ثم اطرق وسأله:

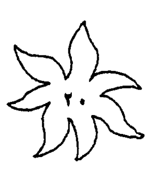
- صحيح شكلك بقى زي ولاد الناس..لكن إحنا درينا على الجلابية يا بن الغالية..أنا عمري ما قلعت الجلابية من ساعة ما اشتغلت الشغلة دي.

نظر إليه "صاوي" وقال في تلقائية:

- إحـــنا بنعـــيش مرة واحدة يا خال..وأنا نفسي أعيش زي الناس.

نظر إليه الخال في عدم رضا وقال:

- ربنا يسلمك يا بني ويكفيك شر المخبي.



عـــادت من المدرسة..رمقته وابتسمت..فاندفع ناحيتها لرفع الحقيبة عـــنها..فرفضت وتغيرت ملامح وجهها..لا تريده أن يكون في هذا الموقـــف..فانطلق ناحية الاسانسير وفتحه لها..فنظرت له نظرة لوم وقالت:

- أنا ما احبش انك تكون في الوضع ده.

لم يفهـــم عـــبارتها..فعاد يجرجر قدميه حتى حجرته..وجعل يراجع نفســـه..مـــا الـــذي فعله حتى تضيق من تصرفه..قرر في نفسه ألا يتحدث معها وكفاه أن يشبع عند رؤيتها..فأحلامه وأمانيه قد تقوده إلى الهاوية.

سمـــع طرقات على الباب فقام ليفتح فوجد "مدام شاهي" أمامه وفي يدها بعض الأكياس..نظرت إليه وابتسمت وقالت له:

- شيل عني يا صاوي وحصلني على فوق.

انـــدفعت واستقلت الاسانسير وشاورت له بأن يتبعها..دخل معها وهـــو يحمـــل الأكياس..وانطلق الاسانسير صاعداً..ظلت تنظر له نظرات رغبة وحرمان حتى وصلا إلى شقتها..فتحت الباب وطلبت منه أن يتبعها وما أن دخل أغلقت الباب ودعته لانتظارها بالهول..

ثم دخلــت حجرتها فأبدلت ملابسها بملابس النوم..التي بدت شفافة تظهــر كــل قطعة من جسدها..ودعته لتناول الشاي..ودخلت إلى المطبخ.

كــان يجلــس علــى أشــواك..قــرر في نفســه أن يخرج من شــقتها..فعــل..عادت من المطبخ فلم تجده..فضغطت على أسنانها غيظاً..وقالت في نفسها:

– بقى كده يا فلاح يا جعان..اصبر عليا.

٢١

اشــترى ورقاً وقلم وبدأ يكتب إليها بفطرته..وبخطه المتواضع..قال كــل مــا في قلبه لأول حب يحرك وجدانه ويثير أشجانه..ثم وضع الورقة في ظرف وأغلقه وانتظرها وهي عائدة من مدرستها..نظرت إلــيه وابتســمت..اندفــع ناحيــتها ووضع يده في جيبه لإخراج الخطاب..لكنه لم يقو..تسمر في مكانه..ثم عاد إلى غرفته مسرعاً مما أدهشها..ووقفت لحظات أمام المصعد لعله يخرج من حجرته.

جــاء خالــه حــاملاً مشــتريات لهمــا..مــا أن رأتــه استقلت

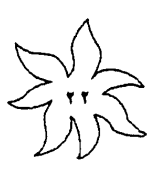
الاسانسير..دخل عليه خاله فوجده يبكي..فضحك قائلاً:

– إيه..وحشوك..كلها شهرين وترجع تشوفهم.

قال في لهفة وحزن:

– أنا..مش هارجع النجع.

نظر إليه خاله مندهشاً..لا يعرف أن الحب قد كوى قلبه وأنساه كل شئ..إلا محبوبته..التي لا يعلم ما إذا كانت حلماً أم واقعاً.




تعطل الاسانسير..ميعاد ذهابها إلى المدرسة..جرى إلى السلم حاملاً خطابه في يديه على قلبه..رآها تنزل وتقول له في حب:

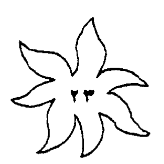
– صباح الخير يا ساوي.

لم يرد عليها وشعر بارتباك شديد..ثم اخرج الخطاب وناولها إياه..فترددت في بادئ الأمر..ثم أخذته منه ودسته في حقيبة المدرسة..ولسوء حظه كانت "شاهي"..تنزل في نفس التوقيت..لا يعرف ما إذا كانت رأته أم لا..ثم صاحت تفزع فيه:

– انت بتعمل إيه يا واد انت هنا..مش كفاية الاسانسير اللي

كل شوية يعطل على وشك الفقري.

جرى على السلم صاعداً..ثم هابطاً في قلق وتوتر .




قبع في حجرته خائفاً ومذعوراً..لاحظ خاله وسأله فلم يجب..بل ظل يبكي..ورد خاله في صوت هامس:

– أنا باين عليا جبت وجع القلب لنفسي.

حـــل وقـــت عودتها من المدرسة..خرج من الحجرة في تردد..وجد "شاهي" تستوقف والد "داليا" وتتحدث معه هامسة وقد بدا وجهه مكفهراً..عاد إلى الحجرة..وأغلقها على نفسه في هدوء.

سمع طرقات شديدة على باب الحجرة..فخشي أن يفتح..فأتى صوت والد "داليا" من الخارج في عصبية:

– افتح يا واد انت لو ما فتحتش هاكسر الباب.

كاد يغمى عليه..عرف أنها أبلغته بالخطاب الذي أعطاه "لداليا" وفتح الـــباب وهو خائف..وامتدت إليه يد والدها في سرعة وصفعه على وجهه وقال:

- لا انـت ولا خالـك هتباتوا فيها النهاردة..ما عدش إلا البوابير، والخدامين يبصوا لأسيادهم.

٢٤

ظل يبكي في الحجرة. حتى عاد خاله وفتح الباب وصرخ فيه قائلاً:

- عملـت إيه يا منيل على عينك..أنا جيبك عشان اوكلك عيش..تقطع عيشي.

وخـلال دقائق حضر أمين شرطة ومعه شرطي لاصطحابه إلى القسم هو وخاله.

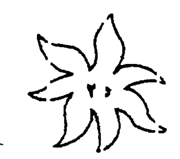
في القسـم..قـام الشرطي بصفع وجهه ووجه خاله..ثم إنهال على "صاوي" بالضرب بيديه وقدميه قائلاً:

- يـا خويا عيش عيشة أهلك .أول ما تشطح تنطح وتبص لبنت واحد من اكبر المستثمرين في مصر.

بـات لـيلة طويلة في حجز القسم..ظل يبكي بكاءً متواصلاً وخاله يضع يده على خده قائلاً:

- لا حول ولا قوة إلا بالله..اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا

يا كريم.




تدخل بعض السكان وأخرجوهما من الحجز..ويعود الخال لعمله بشرط أن يرحل "صاوي" وفوراً..نظر إليه الخال متعاطفاً:-

- الحمد لله يا ابن أختي إنها جت على قد كده..ارجع يا بني ورزقك على الله.

حمل "صاوي" متاعه وتوجه إلى محطة السكة الحديد..كان الجو بارداً..ولا توجد قطارات متجهة إلى الصعيد..فظل جالساً على رصيف المحطة حتى الصباح ولم يكف عن البكاء..ولم يطل حلمه الجميل وتحول إلى كابوس..أضاع كل أماله واسودت الدنيا في عينيه..كان يتألم من داخله..لم ينس المشهد الفظيع الذي تعرض له هو وخاله من الشرطي الذي أهانهما ابلغ إهانة..لن ينساه ولن ينسى اسمه "معوض"..ذهب إلى مكان القطار في المخزن الذي يبعد بمسافة كبيرة عن المحطة حتى يستطيع إيجاد مكان يجلس فيه

وجد مكاناً بجوار رجل صعيدي ممتلئ الجسد..شاربه وحواجبه كثيفان..يرتدي جلباباً فخماً وتبدو عليه مظاهر النعمة..حدثه وعرفه

بنفسه وقال:

- أنا الحاج درديري فهمي..تاجر من أسيوط.

نظر "صاوي" إليه..وعرفه بنفسه ثم بكى..فأصابته الدهشة..وسأله عما يعتريه..فحكى إليه بتلقائية عما حدث له..تكلم بتلقائية كأنه يريد أن يشكو حاله لأحد..أياً كان..وما أن سمع روايته فتعاطف معه..ثم تغيرت ملامح وجهه وقال:

- هي البلد كده يا بني..الغلبان يفضل غلبان طول عمره..لكن ربك هيفرجها إن شاء الله..لما تصحى الصحوة الكبيرة وساعتها اللي زيك هيبقوا أسياد البلد دي..آه..ما هو ما فيش حال بيفضل على حاله..ولا ظلم يطول..ولا فقر يستمر.

نظر إليه "صاوي" وبدا عليه الخوف..فالكلمات كانت تخرج من فم الرجل كالرصاص..يخرجها رغماً عنه وهو ضاغطاً على أسنانه..فلم يفهم ماذا يعني.

٢٦

وصل القطار إلى محطة أسيوط..تواعدا على اللقاء..أعطاه عنوانه

في النجع..ووعده "صاوي" بزيارته..وقبل أن ينصرف كل إلى حال سبيله..اطرق "درديري" لحظة..ثم طلب منه أن يتقابلا في المولد الذي سيقام بعد أسبوع بأحد النجوع القريبة..تصافحا وانصرفا.

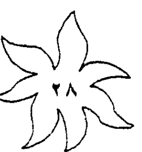
## ٢٧

فوجئت أسرته بحضوره..كانوا فرحين بقدومه..لكن الأم بقلبها شعرت أن في الأمر شيئاً عندما اخبرهم بأنه لن يعود للقاهرة..وسيعاود عمله بالنجع كسابق عهده..ثم ناول أبيه المبلغ الذي ادخره..وكلما ناقشه أحدهم في أمره يلتزم الصمت..دخل حجرته وظل يبكي على تلك الفترة التي لم تطل..طار فيها إلى الآفاق بأحلام الحب والمال..وعاد بخفي حنين في صباح اليوم التالي ظل يتجول في النجع يداعب ذكرياته..ويعود ليشتم الروائح التي تميزه وتميز أهله الطيبين..منتهى أحلامهم اللقمة والستر بالهدمة والنوم مستريحي الضمير.

في صباح اليوم الذي يليه عاد لعمله مزارعاً أجيراً..يعيش على الفتات بعد ما عرف شكل النقود وروائحها التي كاد يتعود عليها

وقال في نفسه:

- إحـــنا مش وش نعمة انكتب علينا نعيش بحالنا اللي درينا عليه وهنموت عليه.



٢٨

مـــع قـــدوم الطيور المهاجرة من شباب البلد..تقدم لأخته "حفناوي النجعاوي"..عاش اغلب عمره الذي تجاوز الخمسين جوالاً من اجل الرزق في بلاد عربية وأجنبية..له زوجة وله منها ثلاث شباب..وابنتين متـــزوجتان ولـــه دار متميـــزة عـــن باقي دور النجع..تقدم لخطبة البـــنت.. الأب والأم وافقا ورحبا به..العروس بكت وندبت حظها قائلة:

- أصوم..أصوم وافطر على بصلة.

كـــان "صـــاوي هـــو الآخـــر معارضـــاً..لكـــنه فوجئ بأبيه وأمه ينهرانه..واحتدا عليه..قالت الأم:

- كان أملنا إن مشوارك في مصر ينشلنا من اللي إحنا فيه.

قال الأب في حدة بالغة:

- هــو انــت لا عاوز لا ترحم ولا تخلي رحمة ربنا تنزل..أنا أبوها وولي أمرها..وأنا أدرى بمصلحتها.

رضخ لرغبة أبيه وأمه..طيب من خاطر شقيقته وقال:

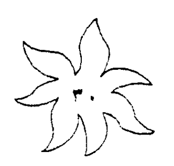
- المرة دي باقولك ضل راجل ولا ضل حيطة.

لم يكلفهـــم العـــريس ناقـــة ولا جملا..وأقام حفل العرس بالنجع ثم اصطحب عروسه إلى شقته التي اشتراها حديثا في بندر أسيوط ووفر من جوال الدقيق طعام بطن كانت تشاركهم فيه.

٢٩

في غدوه ورواحه..لا يضيع من ذاكرته..كل من أساء إليه وسبب له قهــراً في حياته..بدءاًمن أطباء المستشفى الذين أهملوا في علاج أبيه وأخيه الذي افتقده للابد..مروراً بمسئولين النجع الذين لم يسعفوهم في الســـيل الجـــارف وخاصة عضو مجلس الشعب عن دائرتهم الذي طالمـــا تتبخـــر وعوده..يتسلق على ظهورهم ويحيا بأصواتهم..حتى "شـــاهي" الفاجـــرة..ووالد "داليا" الظالم والشرطي الذي أهانه في القسم الذي اقتيد إليه بسبب قلبه الأخضر..اصبح حبه جريمة يهان

بسببه.



في المولد يوم الليلة الكبيرة..انطلق يبحث عن "درديري"..ظل يبحث عـــنه فلـــم يجـــده..قادته قدماه إلى لعبة "النشان"..امسك بالبندقية وصــــوب ناحية الهدف..كل طلقة رش كان يصوبها في رأس كل من أساء إليه..ركز على رأس "شاهي" وأبو "داليا"..وأطلق بيديه طلقاته في غيظ.وجده خلفه يقول إليه:

– تسلم يدك يا أبو الرجال.

التفت وصافحه في حرارة وقال:

– أنا دخت عليك في المولد يا عم درديري.

امسك بيده وقال متفاخراً:

– واهو أنا جيت لك وجايب لك الخير معايا.

نظـــر إليه "صاوي" ولم يفهم ما يقصد..فأخرج "درديري" مبلغ مالي كبير وناوله إياه وقال:

– ده عربون الشغل.

سأله في تلقائية:

- شغل..شغل إيه.

قال له وهو يربت على كتفه:

- هتعرف في وقتها.

صـــافحه وتـــركه في حيرتـــه..على أمل اللقاء في موعد سيحدده له لاحقاً..امسك النقود وأقام بعدها وصاح في نفسه:

- خمسميت جنيه.

## ٣١

دسه في متاعه..لعله ينفعه في يوم يكون اسود حالك..فالمستقبل بات مجهـــولاً..وطريقه السراب..فدخل إلى مسجد القرية..وجدهم..هم نفس الشباب الذين قبض عليهم من قبل..يدخلون المعتقل ويخرجون ولا يتنازلون عن أفكارهم..هذه المرة سمعهم بإمعان..كانت كلماتهم كالرصـــاص الـــذي يخترق صدور من كرههم..شعر انهم محبطين من المجتمع الذي بدا متناقضاً..تفاوتت طبقاته وبعد عن شرع الله..الكبير يأكل الصغير..الغني يدوس الفقير فيزداد فقراً والغني يزداد غنى.

كـــان في سبيله لمجالستهم..لكنه تراجع..اثر أن يكظم غيظه ويكتم

كراهيته لهذا المجتمع..خرج من الجامع..ذهب إلى منزله..ظل ينظر إلى جوال الدقيق..رصيدهم من اجل استمرار الحياة..تــذكر فضــلات الطعام في عمارات القاهرة..مليئة باللحوم والدواجن الصالحة لأكل الآدميين..تخيل بلدته وأهلها لو رأوا هذه القمامة حتماً سينقضــون عليها..يفرزونها ليأكلوا منها..كم من أناس في ذلك النجع ينــامون من غير عشاء..وأحياناً من غير غذاء..لا يدخرون جهداً في البحــث عن العمل الذي ظل ضنيناً..نام..فكر في "داليا"..حلم بها..يتجولان في بلدتهم والأيادي متماسكة والأكتاف متعرضة..سألها في ذهول:

– معقول انتي تيجي لحد بلدنا..تسيبي العز وتعيشي في الفقر.

قالت له وهي تبتسم:

– الحب معاك هو أكلي وشربي..طعم ما حستش بيه إلا معاك يا ساوي.

فجأة..جاء أبوها ومعه عضو مجلس الشعب بالدائرة..كل منهما يمسك سوطاً..رأتهم..هربت..جرى..جريا وراءه..لحقا بــه فانهــالا عليــه بالسياط..صحي من نومه مفزوعاً..بسمل وحوقل..وظل مســتيقظاً للصباح لعل الحلم الجميل الذي تحول إلى كــابوس..يعــاوده مــرة أخرى.

في الصباح الباكر..سمع طرقات على الباب..اندفع ناحية الباب وفتحه..وجد رجلاً ملثماً..ألقى عليه تحية الصباح وعرفه بنفسه..انه رسول قادم من عند "درديري"..اخبره انه سينتظره اليوم مساءاً ليذهبا حتى "درديري" ليستلم عمله المتفق عليه وناوله كيس صغير..ثم انصرف.

فتح الكيس فوجد به مبلغ خمسمائة جنيه أخرى..دسه في جيبه..ثم قرر عدم الذهاب إلى عمله بالحقل..توجه ناحية السوق الصغير المجاور لبلدهم واشترى جوالين من الدقيق..حملهما على عربة كارو صغيرة واتجه إلى البيت..وجد أمه في سبيلها لخبز الدقيق..رأته..لم تصدق عينيها..جولان من الدقيق مرة واحدة..اقتربت منه وسألته عن مصدرهما..تلعثم في بادئ الأمر ثم قال لها مداعباً:

– عفريت جابهم يا أما..حاكم أنا بقيت مخاوي.

قالت وهي مذهولة:

– بسم الله الرحمن الرحيم..إيه اللي نابك يا بني.

استيقظ أبوه..هو الآخر اندهش عندما رأى الجوالين..سأله..قال

- اسأل أمي هتقولك..ولا أقولك..إذا السرب وهب فلا تسألوا عن السبب.

ألقى بجسده على فرشته وظل يفكر في مشوار الليل الذي سيقابل فيه "درديري"..قال في نفسه..ترى ما طبيعة ذلك العمل الذي يدفع فيه مبلغاً كهذا.

٣٣

كان الجو بارداً..في شتاء ينام فيه أهل النجع بعد العشاء..حضر الرجل الملثم..كان ينتظره أمام البيت..اصطحبه إلى الطريق العمومي..وجد سيارة فورد تنتظرهما..ركب الرجل بجوار السائق..وطلب من "صاوي" أن يجلس في الخلف..فعل..وجد ثلاثة شباب..ألقى عليهم التحية فلم يردوا..جميعهم يبدو عليهم القلق..تحدث معهم..لكنهم أيضاً لم يجيبوه هذه المرة..ثم وقف أحدهم وقال في هستريا:

- أنا اسمي عبد الله المرصفاوي.

ثم أشار إلى كل منهم وسألهم:

– وانت اسمك إيه..وانت..وانت وانت؟!

أدرك "صاوي" أن الثلاثة لا يعرفون بعض..ولم يجب الاثنان الآخران على سؤاله وقال:

– أنا اسمي صاوي الراوي.

ثم انطلقت السيارة من الطريق الإسفلت إلى طريق ترابي مخترقة منطقة الجبال وبعد اكثر من ساعة توقفت السيارة في حضن أحد الجبال..ونزل منه رجل ملثم ويحمل في يده جوال أعطاه للسائق وقال:

– أربع حتت متعمرين طلقات تدخل الجسم وتولع فيه.

أخذها السائق وأعطاها للرجل الذي اصطحبه فقام بدوره بإخراج أربعة قطع سلاح آلي وناول كل منهم بندقية..أخذوها في تردد وظلوا ينظرون إلى بعضهم في ذهول.

ظن "صاوي" انهم عصابة تقطع الطرق وانهم في سبيلهم إلى السرقة بالإكراه.

وسرعان ما تحركت السيارة مرة أخرى مخترقة الطرق الترابية..وكل من "صاوي" والثلاثة شباب يمسكون بنادقهم وينظرون إليها..فصاح الشاب "عبد الله المرصفاي" قائلاً:

- معقول يا عالم..ناوين على إيه..الله يلعن الفلوس اللي خدناها منك يا مطاوع.

نظر إليه "صاوي" في ذهول وقال:

- قصدك درديري؟

قال شاب ثان وهو في ذهول:

- لأ اسمه درويش..ايوة الريس درويش المنياوي.

قال الأخير في غيظ:

- لا درديري ولا مطاوع ولا درويش..هو قال انه اسمه مراغي السوهاجي.

قال الشاب "عبد الله" في هستريا:

- ضحك علينا بالفلوس..هنعمل إيه بالسلاح ده يا أخونا.

بعد ساعة اخرى..توقفت السيارة على طريق ترابي ونزل منه الرجل الملثم ويحمل طبنجة في يده وقال لهم في صيغة تهديد:

- شايفين اللي قدامكم ده..ده مركز شرطة تابع للمنيا..دلوقتي هتخرج دورية العسكر..اللي هيسقط راس بألف والراسين بألفين والتلاتة بتلاتة.

صاح "عبد الله المرصفاوي" في هستريا:

- إرهاب..هتحولونا إرهابيين غصب عنا.

صاح فيه الرجل الملثم وقال:

- انت بتتكلم زي الحكومة..الطبنجة في يدي..واللي مش هينفذ هيلاقي عيار في دماغه..ويبقى لا طال سما ولا ارض.

الصمت والوجوم اعتلى وجوههم لا يستطيعون الفرار..اصبحوا أمام أمر واقع ثم صاح الرجل الملثم قائلاً:

- أهم طالعين من المركز..اضربوا.

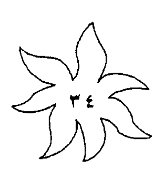
اخذ كل منهم ساتر وراء زراعات القصب وبدءوا الضرب..ثم نهض "عبد الله المرصفاوي" من مكانه وقال في هستريا:

- لأ مش هاضرب..مش هاضرب.

فما كان من الرجل الملثم إلا وصوب الطبنجة ناحيته وأطلق رصاصة أردته قتيلاً على الفور.

تساقط الجنود كالذباب..ثم أمرهم الرجل الملثم بالرجوع إلى السيارة..فغادروا مسرعين وركبوا السيارة التي انطلقت أسرع من البرق.

ظل يتمتم بقراءة القرآن لعل الله ينجيه مما وقع فيه وظل يستغفر الله لما فعله رغماً عنه.



في السيارة الثلاثة ينظرون إلى بعضهم في وجوم..مـات رابعهـم.. بكاه "صاوي" في هستريا قائلاً:

- ذنبه إيه الولد..وذنبهم إيه العسكر.

صاح أحد الشابين قائلاً:

- يستاهلوا..هما دول رمز السلطة والحكومة المتسلطة.

اطرق "صاوي" ثم قال:

- واحد زيهم سود الدنيا في عينيا..بهدلني في القسم في مصر آخر بهدلة.

صاح الشاب الثاني قائلاً:

- أنا مش راضي عن اللي عملناه..لكن يستاهلوا.

قال وهو يكاد يحتضر:

- يعني الراجل اختارنا وما فيش حد منا يعرف التاني..وقال لكل واحد منا على اسم غير اللي قاله للتاني.

قال الشاب الأول:

- الفاس وقعت في الراس..ما عدش ينفع الندم.

عادت السيارة لحضن الجبل مرة أخرى فترل منه عدة رجال ملثمين واصطحبوا الرجل الملثم والسائق..والثلاثةشباب إلى أعلى الجبل.

قابلهم الرجل..ذو الأسماء المتعددة ونظر إليهم متفاخراً وقال:

– رجالة يا ولاد.

الثلاثة وجموا واطرقوا..عاد الرجل يقول لهم:

– إياكم زعلانين عشان ما تعرفوش اسمي الحقيقـــي..لكـــن العملية الجاية..هتعرفوا اسمي واصـــلي وفصـــلي..واللـــي عاوزكم تتأكدوا منه..إن إحنا بنعمل لمصلحة بلدنا..مصر.

حضر رجل ضخم الجثة حاملاً صينية كبيرة عليها خروف مشـــوي وضعه أمامه ثم احضـــر آخـــربعض زجاجـــات النبيـــذ ووضـــعها أمامهم..نظر إليهم "صاوي"في اعتراض.

– الوكل ماشي..لكن خمرة..خمرة يا مسلمين ياللي بتـــدافعوا عن الدين.

نظر إليه "درديري" في حدة وقال:

– ما تكترش في الكلام..كل اللي يلد عليك وما تشربش

اللي مش عاجبك يا حبيب.

لم يندم قبل الآن..فتح له قلبه وحكى له كل شئ إيماناً منه بالرجل الذي تظاهر بالتدين..قال في نفسه "الدنيا ما عد ش فيها خير".

الشابان.. طلبا منه أن يغادرا المكان ليعودا إلى أهلهما..فسمح لهما..على أمل إحضارهما مرة أخرى..بعد أن جعل كلاً منهما يوقع على اعتراف بما فعلا الليلة..فعلا وانصرفا.

طلب "صاوي" المغادرة ووقع الإقرار لكن "درديري" لم يوافق على مغادرته المكان قبل إتمام العملية التالية..وقال وهو يضحك في تهكم:

– انت قلبك رهيف..وأخاف تروح ما ترجعش..عشان كده هتأنسنا يا خفيف.

٣٦

أبوه وأمه..لم يناما الليلة..المرة الأولى التي يخرج فيها من المترل ولا يعرفان وجهته.

مر أبوه على كل بيوت النجع..وعلى كل من يعرفهم.. جميعهم لا يعرفون وجهته.

ظن انه جرى له مكروه ..مرت ليلة أخرى ولم يعد..فاتشحت أمه

الســــــواد وبـــــــات البيـــــت كئيبـــــــاً..ثم قـــــــرر الأب التوجه لخاله في القاهرة..عله يكون ذهب إليه..وكان المشوار شاقاً عليه في زمن لا يرحم كهولته..ولم يجده..واسر الخال في نفســـه ما حدث له في القاهرة..فعاد يجرجر قدميه..لا يعرف كيف سيواجه زوجته التي حرمت على نفسها الزاد فأصبحت طريحة الفراش.

٣٧

مر عليه أسبوع وهو حبيس المغارة بحضن الجبل..يقدمون له ما لـــذ وطاب من أصناف الطعام..كان يعيش مكرماً بينهم ولكنه في داخله رافض ما هو فيه أو ما اجبر عليه.

حضر رجل يرتدي ملابـــس إفرنجيـــة..ملـــتح..قـــابلوه بترحـــاب بالغ..عرف من خلال حديثه معهم انه طبيب مفصـــول..لا يـــزاول المهنة..أمرهم بأن يحضروا صناديق ذخيرة من سيارة نقل تقف بجوار الجبل..ثم أعطى لمن يسمى "درديري" عدة رزم مالية..وحدد ســـاعة الصفر للعملية القادمة..ثم انصرف.

استطاع أن يربط الأمور ببعضها..هذا الطبيـــب يمـــول العمليـــات الإرهابية.

كانت ليلتهم طويلة..شربوا كمية من المخدرات والخمور حتى فقدوا توازنهم..استطاع أن يهرب فجراً من المغارة.

انطلق جرياً وسط الجبال لا يعرف الوجهة التي سيذهب إليها..حتى وصل للطريق الإسفلت مع بزوغ الشمس..فأشار إلى إحدى السيارات النصف نقل فتوقف السائق وسأله عن وجهته..ظل يفكر لحظة ولحظات ثم قال له إلى أسيوط.

أثناء حديثه مع السائق عرف منه أن المنطقة التي ركب منها تابعة للمنيا..واستغرق الطريق ساعتين حتى وصل إلى أسيوط..فكر أن يعود إلى بيتهم..ثم تردد وتوجه لبيت شقيقته..دخل إلى البيت الذي تسكن فيه وطرق الباب عدة طرقات ولا مجيب..ثم نظر إلى الباب فوجد قفلاً كبيراً على بابه..فكر أن يعود ولكن إلى أين..وما هي إلا دقيقة وفتحت أخته شراعة الباب فعاد ناحيتها يرجوها أن تفتح له الباب..بكت وقالت له:

– جوزي في البلد وهيغيب يوم ولا يومين..وكل ما يسافر يقفل عليا الباب ويسيب لي الوكل والشرب زي البسة المحبوسة.

انهار..بكى..مما اثر في نفسية أخته التي سألته بتلقائية:

– أمك ولا أبوك جرالهم سو يا صاوي.

هز رأسه وقال لها في إعياء:

– أمك وأبوكي بخير..سلام عليكم.

نزل من على الدرج يجرجر قدميه في الهزامية..لا يعـرف إلى أيـن سيذهب.

قضى النهار يتسكع في شوارع أسيوط ثم دخل أحد الجوامع..وصلى وطلب من ربه أن يغفر له ما اقترفه من ذنب ثم نام..بعـد صـلاة العشاء خرج من المسجد وتوجه إلى الطريق العمومي المؤدي لنجعهم وركب إحدى السيارات حتى بلدتـه..توجـه إلى مترلـه..طـرق الباب..فتحت أمه وهي في إعياء شديد..ما أن رأتـه إلا وسـقطت مغشياً عليها..ظل أبوه يناقشه في سبب غيابه..قال وهو يبكي:

– أنا واقع في مصيبة ومش هاقدر أقولكم إيه هي.

ظل أبوه ينظر إليه في دهشة وقال مستنكراً:

– انت حالك لا عاد يسر عدو ولا حبيب.

اخرج ما في جيبه من أموال تتعدى الثلاثة آلاف جنيه..وضعهم أمام أبيه وقال له:

– أنا لازم اختفي اليومين دول يا أبا..وما تسألنيش حاروح

فين..أنا هابعت لكم جوابات واطمنكم عليا.

نظر أبيه إلى النقود وقال في استنكار:

- إياك تكون بقيت قاطع طريق.

ظل يبكي ويقول:

- كان يبقى ارحم يا أبويا..المصيبة اللي أنا فيها يضيع فيهـا رقاب.

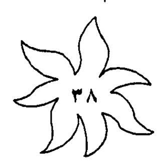
ربت على كتفه وقال:

- إن ما كنتش هتفتح قلبـك لأبـوك وتقـول إيـه اللـي فيك..هتفتحه لمين يا ولدي يا كبير ياللي هتحل محلي.

قال وهو يبكي:

- أنا جعان..ما كلتش بقالي يوم بليلة.

نهض الأب في خفة واعد له طعام..أكله وهو يترنح ثم نام في مكانه.




في الصباح قرر أن يغادر البيت ولا يعلم إلى أيـن..حـاول أبـوه وحاولت أمه منعه ولكنه أصر على الابتعاد عن البيت والنجع لفترة

يعلمها الله.

خرج من البيت..قابله زميل طفولته "بهنساوي"..أحاطه علماً بما حدث لصديقهم الذي يكبرهم بعدة أعوام.."رجب البنا"..انه كان صريعاً لكارثة الإرهاب الذي اشترك فيه..قال في حسرة:

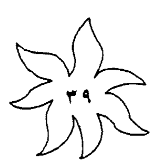
- بس آني اعرف إن رجب..راح الجيش.

قال "بهنساوي" والألم يعتصره:

- ما هو فترة جيشه كان بيقضيها في بلوك النظام تبع الشرطة..والكفرة موتوه ومعاه عشرة من زينة الشباب لا حول لهم ولا قوة..كلهم كانوا أمل لأهاليهم..راحوا في غمضة عين.

ظل يبكي بحرقة..وجعل يجرجر قدميه و يبكي صديقه..وظل ماشياً حتى وصل محطة السكة الحديد..ركب القطار ولا يعلم أين وجهته..تحرك القطار وحديث صديقه "بهنساوي" يرن في أذنيه..إن هذا العمل لا يفعله إلا من كان كافراً بالدين والدنيا..ما ذنبهم هؤلاء الشباب الذين يؤدون خدمتهم العسكرية..هل بموقم ستحل أمور البلد..ستسود العدالة في المجتمع..سيتحسن وضع الفقراء..هم كانوا في وش المدفع..وفقدوا حياقم ثمناً لأخطاء غيرهم البعيدين

عن كل سوء..كم من شباب ماتوا ضحية الجهل والحقد الأسود الذي ملأ قلوب أجواء الشر.




وصل القطار محطة القاهرة ليلاً..توجه دون وعي إلى العمارة التي يعمل بها خاله..استرجع فترة بدأت بالأمل وحب الحياة..وانتهت بمعاني لم يعرفها من قبل..الحقد..الكراهية..قتل الأبرياء..حتى لو كان اضطر إلى ذلك.

نظر إلى الطابق الذي تقطنه..وجد غرفة نومها مضاءة..تمنى لو ذهب إليها..ليقول لها أنها الأمل الذي عاش عليه أياماً جميلة في كنفه.

ظل يتجول في الشوارع تائهاً حتى لاح نور الصباح..جرى إلى بيتها..رأى خاله يخرج حاملاً حقيبة شراء الطلبات..شده الشوق إليه..فرت الدموع من عينيه..ظل ناظراً إلى شرفة شقتها..خرجت من الباب يصطحبها أبوها في سيارته الخاصة..حن قلبه..كاد يقفز من داخل ضلوعه..قال في نفسه "وماذا بعد..كيف ستكون حياته في تلك المدينة التي تبلع كل من فيها".

رآه يأتي بعربته الكارو..الزبال..انطلق ناحيته..عرفه بنفسه..تـذكره وركب معه حتى أنهى عملية جمع القمامة..وذهبا سـوياً إلى منطقـة الفرز "خلف جبل المقطم"..تحدثا طوال الطريق..اخبره "صاوي" انه ينوي أن يعمل معه ويجد له مأوى..اسكنه "عشة" من الصفيح..طولها متر ونصف متر وعرضها متر..أشبه بالمقبرة..رضى بالحـال..فهـو مكان آمن يبعده عن عيون من يطاردونه.الحكومة..والإرهابيون..بل شك انه مطلوب لكليهما..كلاهما سيقتص منه إزاء فعلته.

٤٠

في فجر اليوم التالي رافق الزبال الذي عرف اسمه "جعلي"..هو أيضاً من صعيد مصر..من قنا..أتى للبحث عن لقمة العيش بعيـداً عـن الفقر..اخبره انه وعدد كبير من جامعي القمامة يعملون لدى المعلـم "أبو صفيحة"..هذا اسم شهرته..فكانت بدايته عندما حضر للعمـل بهذا الكار..كان يجمع بقايا الزجاج والخردة في صفيحة..حتى تمكـن من حرفته..واصبح صاحب مالية كبيرة..يملك عمـارة ضـخمة في أرقى أحياء القاهرة..ولكنه يفضل الإقامة في سـكنه المتواضـع في

منطقة المقطم مع زوجته.

كان ذلك المشوار متنفساً له كل صباح..يرى خاله وهو يتوجه لمشوار السوق اليومي..ويرى حبيبة قلبه وهي تذهب للمدرسة بصحبة أبيها ويعود محملاً بهموم الغربة والضياع ليلقي بنفسه في عشته الصفيح..أو قبر الحياة كما يسميه بعد أن يتناول وجبة واحدة في العشاء مع صديقه الجديد "جعلي" وتتكرر الكرة يومياً..حتى اكمل الشهر وذهب مع "جعلي" لصرف شهريته من المعلم "أبو صفيحة" ومعهم جمع غفير من جامعي القمامة..ينتظرون طويلاً أمام سكن المعلم حتى يستيقظ من نومه.

خرجت الزوجة "توفيقة" لمقابلتهم وصرفت لهم شهريتهم حسب الكشف المدون فيه أسمائهم..سيدة صوتها أجش..ولكنها جميلة الملامح..ممتلئة البدن بقدر يمكن من خلاله معرفة تقاسيم جسدها..ترتدي قميص نوم يعلوه روب مشجر بألوان عديدة.

لفت نظرها فسألته:

- انت جديد يا أخينا.

قال لها وهو يضع رأسه في الأرض:

- ايوة يا ست الكل.

ضحكت ضحكة مجلجلة وقالت:

– ست الكل مرة واحدة..انت باين عليك بتفهم..اسمك إيه؟

قال لها عن اسمه..فظلت تبحث عنه في الكشف فلم تجده..وعندما أخبرته بذلك..ثارت ثائرته وكاد يحتد عليها..إلا أنها بادرته بابتسامة وقالت:

– حقك مش هيروح..لما المعلم يرجع هاديله خبر.

ثم مدت يدها في صدرها فأخرجت مبلغ مالي كبير وناولته إياه وقالت في دلال:

– خد دول تحت الحساب..اللي بيشتغل معانا حقه محفوظ.

٤١

جرى في صباح اليوم التالي إلى مكتب البريد وفتح حساباً وضع فيه كل ما أخذه من "توفيقة" ثم خرج وتوجه لتناول وجبة كباب من حصيلة ما باعه زجاجات بلاستيك..كان يجمعها دون علم "جعلي" ويخزنها في عشته..هذا ما يفعله كل جامعي القمامة..ثم توجه إلى أحد أحياء السيدة زينب..لفت نظره افيش فيلم "حكاية حب"..دخل

السينما "درجة ثالثة" وتخيل مريم فخر الدين أنها الحبيبة..وظل يبكي في داخل نفسه وينعي حظ قلبه الذي لم يتحرك من قبل..قال يا ليته لم يتحرك..بل ليته ظل كامناً داخل قفصه الصدري..عاد إلى منطقة سكنه..وجد حيوان يقف على مفترق الطريق المؤدي لعشته..لم يستطع تحديد نوعه..كلب..ذئب أم ثعلب..ظل يلف ويدور للبحث عن قطعة قماش بالية..وجد..وضعها في عصا صغيرة وأشعل بها النيران..هذا ما تعلمه من أبيه..وسرعان ما فر ذلك الحيوان داخلاً إلى أحد الكهوف..أدرك انه ذئب.

وصل إلى عشته متثاقلاً..وقبل أن يخلع ملابسه..سمع صوت صريخ مدوي..فانطلق خارج العشة..وسمع الصوت في ازدياد..بل يتردد من اكثر من امرأة..جرى ناحية مصدر الصوت..فوجده منبعثاً من سكن "أبو صفيحة".

"توفيقة" تلطم وجهها.."أبو صفيحة"..انقلبت به السيارة المحملة بالحديد والزجاج الذي ذهب لتسليمها لأحد المصانع.

دخل مع الداخلين مهدئاً من روعها..وبدأ مع زملائه العاملين في المجال الإعداد لدفنه..المفاجأة أن لا أحد يعرف له أهلاً..انه قادم من أحد مدن الصعيد منذ اكثر من عشرين عاماً..دفنوه في مقابر الصدقة

تخص أحد التجار الذين يتعامل معهم.

بدأ الحديث عن ثروته التي تقدر بالملايين..سواء نقود سائلة في البنوك أو في شكل عقارات.."توفيقة"..هي الوريثة الوحيدة..كيف ستعيش وحدها دون رجل..العمل شاق ويحتاج خبرة وأمانة.

وقع اختيارها على "صاوي" ليكون ذراعها اليمين..يلم وهبة نقل القمامة من خمسين عمارة..بما يقدر بآلاف الجنيهات..يصرف للعاملين رواتبهم الشهرية..خصصت له بيت في حضن الجبل لا يختلف كثيراً عن بيته في بلدته ولكنه أهون من العشة الصفيح..جعلت له مقراً لصرف الشهرية ونقلت له كشوف بأسماء العاملين..مما أثار حقدهم عليه.

تقبل هذا العمل على مضض..لكنه الأمل الوحيد الذي يرفعه ويؤمنه في هذه البلدة التي يعيش فيها الناس كالنمل.

٤٢

بدأ يراسل أهله..ويرسل لهم شهرياً مبلغ كبيراً من المال..غير ذاكر عنوانه الحقيقي..بل كان يكتب عنواناً لدى أحد تجار الخردة

المتعاملين مع "توفيقة"..واتفق مع الرجل على هذا الأمر..فلم يتوان الرجل عن قبول ذلك..فكان يستقبل الخطابات التي ترد من أهله ويكتبها أخوه الصغير.

٤٣

بدأت مظاهر اليسر تبدو على أهله مما جعل الجيران الفضوليين يتساءلون..فالأب يترل إلى أسيوط رفقة ابنه الصغير ويعودان محملان بخيرات الله من لحوم وسلع تموينية.

الأب والأم دائماً يتساءلان في أنفسهما عن مصدر تلك الأموال..التي أتى بها سابقاً والتي يرسلها لهم شهرياً..كفاهم أن ابنهم بخير وان حالتهم تتقدم إلى الأمام.

لكن الأم ظلت تبكي وتولول:

- تغور الفلوس..كنا كافيين خيرنا شرنا وشوال الدقيق عاد بكفينا ويفيض للشهر اللي بعده..ربنا يرجعك بالسلامة يا صاوي يا بني.

- بلد كل أهلها زي الأصنام ما تسألش حد عن حاجة ويدلك..كل حي يقول ما اعرفش..ما اعرفش..ماخبرش..ما خبرش.

هذه العبارة قالها أحد رجال "درديري" أو الرجل المتعدد الأسماء..مما جعل قلقه يزداد ويردد قائلاً:

- أمال الأرض انشقت وبلعته..الولد ده طول ما هو بعيد عنا لا يمكن يكون في أيدينا.

قال الرجل إليه ليذكره:

- ما يمكن طفش على مصر عند خاله اللي كان بيحكي عنه معاك في القطر..ما تفتكرش عنوانه؟.

قال "درديري" وهو يضغط على أسنانه:

- لا..أول مرة تعدي عليا اقلبه في الصغيرة قبل الكبيرة..ونسيت أسأله من بكرة تروح تعسكر في بلدهم جنب دارهم يا ورداني..قبل الفاس ما تقع في الراس.

قال الرجل متململاً:-

- ده نجع فقري..لا فيه دكان يبيع لقمة..ولا قهوة نشرب عليها كباية شاي..ولا مطرح عدل نتاوى فيه.

قال "درديري" في انفعال:

- أمال إياك عاوزه يفلت من ايدينا ونروح كلنا في ستين داهية..روح يا ورداني..وأنا هاخلي عواني يبدلك..انت يومين وهو يومين.

اطرق الرجل وظل يهذي بعبارات توحي بعدم رغبته في تنفيذ تلك المهمة.

٤٥

أرسلت في طلبه.. ذهب إلى مسكنها قبل الغروب..دعته إلى الدخول..دخل متردداً..فكم يخشى أن يفسر أحد ذلك من جامعي القمامة وقد بدا حقدهم وغيرتهم منه.

كانت ترتدي ملابس محتشمة..ومع ذلك خشي أن يدفعها حرمانها الأنثوي الذي بدا في عينيها..فهو يعلم أن شبابه وقوته قد تكون مطمعاً للجائعات..لكنه دائماً يخشى الله.

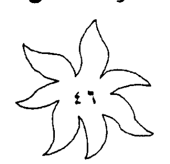
تحدثت معه..حكت واستفاضت..قالت أنها تعرفت "بأبو صـــفيحة" وهي في الخامسة عشـــرة..عنـــدما كـــان يعمـــل أبوهـــا جـــامع قمامة..وتعرف عليه في منطقة الفرز..أمها ماتت وهي صغيرة..ولحق بها الأب..فلم يكون لها أنيس ولا جليس غيره..عرض عليها الزواج وهو يكبرها بعشرين عاماً..لم ينجبا..عاشا لحظات حياتهما في إشباع غريزة الطعام وجمع المال..لم يبخل عليها بالطعام النظيـــف..والمـــال الذي تراكم.

ظل يستمع إليها حتى يصل إلى ما ترنو إليه من جراء اســـتدعائه في هذا الوقت بالذات..فقالت له:

- انت دلوقتي راجلي يا صاوي وسندي.

اطرق..لم يستطع رفع عينيه في عينيها..ماذا تقصد بهذه العبارة..إنها من سن أمه تقريباً..هل تريد أن تقترن به..وهل سيوافق..هي المخـــرج الوحيد له في خضم حياته المضطربة..بعد أن صار إرهابياً طريـــداً في نظر الحكومة والمجتمع..هي الآن الخلاص..لأنها مصدر الأمان الوحيد له في حياته..لقد تخطـــى حـــاجز الفقـــر والعـــوز والحاجـــة هـــو وأهله..صاحبة فضل عليه..إنها لم تفـــــصح في عـــلن عن ما ترنو

إليه..ولكنه أمر محتمل..فلينتظر طالباً من الله أن يحفظه




مع إطلالة الشهر الجديد..ذهب ليجمع وهبة رفع القمامة من البيوت..الأمر يستغرق أسبوعاً كاملاً حتى ينتهي من أداء تلك المهمة..فكر أن يذهب إلى بيتها وليكن أول البيوت التي يجمع منها الوهبة..ارتدى ملابس إفرنجية أنيقة جديدة..ذهب ليلاً على غير العادة في جمع الوهبة التي يقوم بتحصيلها نهاراً..انتظر خروج خاله من حجرته واندفع ناحية الاسانسير وضغط الزر على الطابق الذي تقيم به..قلبه يرتجف..مشاعره مضطربة..سيراها بعد غياب طال..ضغط زر البيت..فتحت له الباب ونظرت إليه مدققة..ابتسم..قالت له دون مبالاة:

– ايوة..عاوز إيه.

كاد ينهار..إنها لا تعرفه..وقد تكون عرفته ولكنها راجعت نفسها لتدرك أن العلاقة بشخص مثله قد لا تكون مقبولة.

استدار للخلف..دموعه تحجرت في عينيه..شعر بدوخة فكاد يسقط

مغشياً عليه..لم يفق من الموقف الذي لا يحسد عليه إلا حينما أغلقت الباب بشدة في وجهه ولم تكرر سؤالها لتعرف سبب حضوره..فتأكد إنها عرفته..أرادت أن تغلق آخر أبواب الأمل في وجهه..نزل على السلم يجرجر قدميه في انكسار.

كرهها..أول حب في حياته يتحول إلى كراهية..تمنى لو مات اللحظة..فما قيمة حياته دون أمل يعيش عليه..انه مجرد أمل..ولا يأمل في اكثر من حبه لها..ليته ما ذهب..ليته عاش على خيال كانت تتغذى منه روحه..ليته..ليته.

٤٧

عاد إلى منطقة الجبل..رآه اكثر إظلاماً مما كان عليه..وصل إلى مسكنه بشق الأنفس..ارتمى على فرشته..وبكى..ظل يصرخ في فضاء الحجرة..تمنى لو استدعته "توفيقة" لتقول إليه بما ذهبت إليه مخيلته..هو على استعداد أن يتزوجها..لو طلبت منه ذلك..سيعيش في كنف امرأة..توفر إليه المال الذي يستطيع من خلاله أن يحقق كل ما تصبو إليه نفسه المحرومة.

قام صباحاً وهو يشعر بوحشة غريبة..للمكان والزمان..الصباح وكأنه ليل..والليل ظلام إلى ما لا نهاية.

لا مفر من السفر إلى بلدته..يرتمي بين أحضان أمه..يشكو إليها همه..لم يعد يخاف شيئاً أو يبقى على شئ..فلينتقم منه الإرهابيون..فلتصل إليه الشرطة..كل شئ كأي شئ.

جرجر قدميه حتى سكنها..طرق الباب..فتحته وقد لاحظت حالة الاكفهرار الذى اعتلى وجهه..اخبرها انه يود السفر لرؤية أهله..دخلت مسرعة وعادت مسرعة ومعها مبلغ مالي ناولته إياه وقالت:

- تروح وترجع بالسلامة..بس أوعى تتأخر علينا يا غالي.

قبل يدها فسحبتها بسرعة:

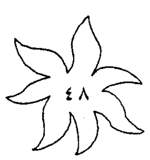
- استغفرَ الله العظيم..أوعي تعمل كده تاني يا صاوي..انت دلوقتي دراعي اليمين.

استدار وودعها على أمل اللقاء..وذهب إلى محطة القطار وألقى بنفسه في أحضان عربات الدرجة الثانية المكيفة..ووصل القطار ليلاً إلى محطة أسيوط..فتحت أمه الباب وما إن رأته شهقت..فارتمى بأحضانها..وسرعان ما حضر الأب وشقيقه الصغير..واعدت الأم

العشاء والتفوا جميعاً حول الطبلية..أكل ولم يتفوه بكلمة واحدة..وكلما حاولوا التحدث معه يقول:

- النهار له عنين..ما تسألونيش عن حاجة إلا لما أقوم من النوم.

جرجر قدميه حتى فرشته وألقى بجسده وظل يغط في نوم عميق..والأحلام والكوابيس تطارده..يراها هذه المرة تطعنه بسكين في قلبه..يرى رجال الشرطة يطلقون عليه النيران فيموت ثم يرى "درديري" ورجاله يسحبون جثته ويمثلون بها..شقيقه الذي توفى يقابله بالأحضان ويذهب معه إلى حديقة غناء لم ير لها مثيلاً




مع بداية نور الصباح..طرقات متتالية على باب بيتهم..هرول أبوه وفتح الباب..فوجد شيخ الخفر يسأله عن ابنه "صاوي"..تلعثم الأب لحظة..ثم قال:

- صاوي في مصر.

أزاحه شيخ الخفر بيده..ودخل البيت..لمحه "صاوي" فحاول الفرار..لكنه

لم يســـتطع..فتســـمر في مكانـــه..فـــانقض عليـــه شـــيخ الخفـــر قائلاً:

– تعالى يا واكل ناسك..بقالنا سنة دايخين عليك.

ظلت أمه تصرخ وتولول..وقد سحبه شيخ الخفـــر كمـــا تســـحب البهائم وخرج به من المترل..حاول "صاوي" الفرار منه لكنه امسك به بقوة وربطه من يده بحبل واقتاده حتى نقطة الشرطة فقابله الصول رئيس النقطة بالسب والشتائم والصفع على وجهه فقال "صـــاوي" وهو يتلعثم:

– أنا هاقول على كل حاجة.

لم يهتم الصول بكلامه ووضعه في الحجز ضمن عدد مـــن شـــباب البلدة..فأدرك انه مطلوب للتجنيد..حمد ربه انه لم يتفوه بكلمة أمـــام الصول.

٤٩

في فجر اليوم التالي..اصطحبهم صول نقطة التجنيد حتى محطة السكة الحديد وكان عددهم عشرين شاباً..ينظرون إلى بعضه ويبكون..كل منهم كان يمثل الســـاعد الأيمـــن لأســـرته..منـــهم مـــن يعمـــل

مزارعاً أو صانعاً أو عند أحد التجــار..فقــدت أســرهم قــوت يومهم..وضاع أملهم في مشقة الحياة..فأغلبهم مــا زال أخــواهم صغاراً لا يقدرون على العمل..ولكنه القانون الــذي لا يراعــي أي ظروف خاصة.

تحرك هم القطار إلى منطقة تجنيد أسيوط..تســلمهم منــدوب مــن الشرطة حتى يلحقهم بقوات الأمن أو الأمن المركزي.

كان نصيبه أن يلتحق بقوات أمن المنيا..يتحــرك في آليــة دون أن يعرف وجهته..يمر عليه الليل والنهار سيان..في حركة دائمة ما بــين طوابير التدريب لأعمال النظافة في المعسكر حتى ينام كالخيل الهامدة ليستيقظ صباح اليوم التالي ليعيد الكرة.

نسي أهله..نسي حياته..نسي كل شئ..فلا وقت للتفكير أو البكاء على ما مضى..كأنه موتور لا يكل ولا يمل من الحركة الدائمة.

في أحد الأيام حضر الصول "نجيب" الذي يشرف علــى تدريبــهم وسلم كل منهم ثلاث ورقات وقال لهم بصوته الجهوري:

– دول استمارات التعارف..يعني هتكتب فيه كــل البيانــات المطلوبة وخصوصاً قرايبك البعاد والقريبين..واللي هنسى بيان هيكون نهاره اسود.

قال له أحد الجنود ببراءة:

- واللي ما بيعرفش يكتب يا حضرة الصول.

قال وهو يزغده في كتفه:

- واحد من زمايلك اللي بيعرفوا يكتبوا..يكتب لـك وانـت تمليه..واياكم حد يغفل عن ذكر حد من قرايبه وخصوصاً وان كان من إياهم..لحسن هيروح في ستين داهية.

سأل "صاوي" أحد زملائه في براءة:

- يقصد إيه بإياهم.

قال له هامساً:

- يعني يكون من الجماعات الإرهابية.

ابتلع ريقه وكاد يغمى عليه..خرج زميل له من الصـف وقـال في هستريا:

- اخويا يا حضرة الصول مقبوض عليه في أمن الدولـة مـن شهرين وزيادة..متهمينه في قضية قتل العسكر اللي في المنيا.

قام الصول فسحبه من الصف وصفعه على قفاه وقال:

- اهو انت كده واد مجدع وبتحب بلدك..وهتنفصل من الخدمة يا حلو.

ما إن سمع "صاوي" كلمات ذلك الجندي إلا وسقط مغشياً عليه..ترى من من شركاته في ذلك الحادث الذي قبضت عليه مباحث أمن الدولة.

٤٩

اصطحبوه إلى المستشفى وتعجب الطبيب من تمام صحته ولياقته البدنية ولم يحدد أي مبرر طبي لهذه الاغماءة التي ألمت به.

ما إن خرج من العيادة إلا وقد رأى الصول "بخيت" يقف له متأهباً..رآه "صاوي" فارتجف جسده..ينظر الصول له نظرات ذات مغزى وقال:

– إياك تكون فاكر انك هتنفصل لعدم اللياقة الطبية..لا يا خفيف ده أنا بقالي تلاتين سنة خدمة في المعسكرات وعارف اللي على شاكلتك.

ارتجف جسد "صاوي"..شعر انه دخل عالم مجهول مخيف لن يخرج منه..راودته فكرة الانتحار أو على الأقل الهروب..لكنه رفع يديه إلى السماء أن يزيح الله تلك الغمة التي ألمت به وان يبعد هذا الصول عن طريقه.

بدأت عمليات التدريب الشاقة..وقفوا في الشمس ساعات طوال..لم يشك..فلا مانع عنده من إتمام التدريب العسكري الأول الذي يستغرق شهرين..لكن ما يؤرقه ماذا بعد ذلك؟!

تمر الأيام ويلتقي بهم ضابط من العسكر لإلقاء محاضرات التوعية القومية..كان يخافهم..لا ينظر إلى وجوههم..ينظر إلى رتبهم اللامعة الموجودة أعلى أكتافهم..كلماتهم ترن في أذنهم..كلها تحثهم على حب وطنهم..والمحافظة على أمنه..والمتربصون لهم كثيرون..المهمة أصبحت شاقة بعد أن اصبحوا كالعصافير التي تصاد بأقل مجهود من الصياد..مجرد طلقة تخرج من بندقية تصبح في خبر كان.

في التدريب على الرماية أبلى بلاءً حسناً..يجيد الرماية..ينظر إلى الهدف..يضرب ويتخيل كل من يكرههم..كل من سبب له أذى في حياته..حتى "داليا" التي خدعته..وطلقة أخرى كأنه يصوبها على رأس الصول "نجيب" الذي يحيل نهارهم إلى ظلمة حالكة..تعجب الضابط المشرف على التدريب..سأله في تلقائية:

– انت عندك سلاح يا مجند في بيتكم وأكيد مش

مرخص..صح؟

ظل يبتلع ريقه وقال:

– والله أبداً يا سعت الباشا..أنا متدرب على التنشين في المولد اللي بيتنصب في بلدنا كل سنة.

نظر إليه الضابط نظرة ذات مغزى وقال:

– التحريات هتبين.

٥١

حصل على إجازة بعد انتهاء التدريب..جرى إلى بيته وقابل أهله بالأحضان والبكاء والعويل.

فكر أن يهرب من الجيش ولكن أباه رجاه ألا يفعل..فهم في غنى عن تحرش رجال النقطة بهم..كفاهم ما هم فيه.

ظل يتجول في البلدة وكأنه يراها للمرة الأولى..أوحشته..هل سيكون له فيها عيش..يتذكر أيام التدريب الشاقة..يتخيل المستقبل المجهول الذي ينتظره..يتذكر الحبيبة التي غدرت به.."توفيقة" التي أحاطته بالرعاية..كتب لها خطاباً يحيطها علماً بأنه يقضي فترة التجنيد..أرسل الخطاب على العنوان الذي كان يراسل أهله عن

طريقه..لمح الرجل يلف ويدور حوله..عـرف انـه مـن رجـال "درديـري"..جـرى إلى البيـت مسـرعاً وارتـدى ملابسـه الأميرية..وهرب من خلف البيت وجرى إلى الطريق وألقى بنفسه في صندوق سيارة نقل..وصل إلى المنيا..جرى إلى معسكره..فكـر أن يفاتح قائد المعسكر في حكايته..لكنه فوجئ بأن سريته ترحل للعمل بمركز الشرطة كحراسة على مبانيها..ركب معهم في آلية.

وصلت السيارة إلى المركز الذي سبق أن قاموا بعملية اغتيال الجنود به..وجده محاطاً بالسيارات وأعداد ضخمة من الجنود..ثم نظـر إلى زراعات القصب وخيل إليه أن رجال "درديري" يصـوبون علـيهم النار..فصرخ وسقط مغشياً عليه أمام باب مركز الشرطة.

٥٢

خرج المأمور ومعه ضابط برتبة ملازم أول "مسعد" للاطلاع علـى حالة الجندي..وقد جلس أحد زملائه بجواره وظل يلقنـه قـرآن في أذنيه..فنهض متثاقلاً ونظر إلى المأمور والى الضـابط "مسـعد" ولا يعرف مكانه من زمانه..قال إليه الضابط "مسعد" محتداً:

– فيه إيه يا مجند..انت عندك حالة ولا إيه؟

ظل ملتزم الصمت..فاقترب منه المأمور وقال له بصوت حنون:

– مالك يا بني..فيه حاجة تعباك.

نظر إلى المأمور ثم ظل يبكي في هستريا..فاصطحبه الصول إلى داخل القسم..ووضع مخلته مثل باقي زملائه في الخيام المعدة لإقامتهم في ساحة القسم..حضر مندوب التعيين وناولهم الطعام..فلم يقبل عليه..حاول زملاؤه إطعامه رغماً عنه فقال أحدهم:

– إيه يا بلدينا..هتقطع الزاد..الخدمة صعبة وعاوزة لقمة تسند القلب وإلا هتلاقي نفسك خلصت من غير ما تحس.

نظر إليهم وحالة من الحزن تنتابه ورعشة دبت في كل أوصاله..ثم حضر الصول ونادى على عشرة مجندين منهم للقيام بالخدمة من الساعة الرابعة مساءاً حتى الثانية عشرة ليلاً..وابلغ باقي الجنود بأنهم سيقسمون ما بين نوبة الليل حتى الصباح ومن الصباح حتى الرابعة مساءاً.

في الليل كان من ضمن وردية الساعة الثانية عشرة ليلاً وعين خارج مبنى القسم خلف غرفة الأسلحة والذخائر..فظل يجرجر قدميه إلى مكان خدمته وعيناه مسلطتان على زراعات القصب..التي ارتكب من

خلفها جريمته..ثم يسلط عينيه على الحراسات الـتي تحـوط مـبنى القسم..فدخلت إلى نفسه الطمأنينة إلى حد ما..وكلمـا نظـر إلى زراعات القصب ارتجف جسده وارتاعت نفسه..يخيل إليه أن هنـاك بنادق مصوبة ناحيته..يختبئ ويضع سلاحه في حالة استعداد..يمر عليه الصول..يسأله:

– انت بتنشن على مين يا مجند صاوي.

ثم يضحك الصول ساخراً ويقول:

– لأ صاحي يا واد..بس لعلمك..جوة زراعات القصب..عساكر عاملين كماين..أصلك ما تعرفش إيه اللي حصل.

ابتلع ريقه وقال في تردد:

– إيه اللي حصل يا حضرة الصول.

قال الصول متحسراً:

– ولد كانوا زي الورد..كان باقي على انتهاء تجنديهم أسبوعين..لكن اترحلوا كل واحد في نعش..أربع جدعان لكن هاقول إيه..ماتوا شهدا..لكن إحنا صاحيين..آه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

تصبب جسده عرقاً في عز البرد..وقال في نفسه "كل اللي ضـــربناه من ذخيرة..وموتنا أربعة بس..يا ترى أنـــا نصـــيبي كـــام واحـــد فيهم..ويمكن اللي ضربته من نار ما جاش في حد..أبي ممكن أكـــون بريء من دمهم".

انفرجت أسارير وجهه وسأل الصول في لهفة:

- وفيه حد انصاب يا حضرة الصول.

قال وهو يرفع يديه الاثنين في وجهه:

- عشرة..ربنا نجاهم ولحقناهم بالإسعاف وعلى الأميري عدل.

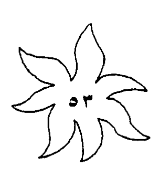
عاد وقال في نفسه "يمكن اللي طلع من بندقيتي صاب وما موتش..أنا كنت باضرب من غير ما انشن..لكن الولد التانيين كانوا بينشنوا"

انصرف الصول وهو يقول له في حماس:

- خليك صاحي يا مجند صاوي..انت باين عليك ولد فرخ.

انتهت نوبته في الصباح..فجرى إلى الخيمة وألقى بنفسه على فرشته وراح في نوم عميق.

لم يعد يحلم..فالخدمة شاقة تحول دون التفكير في شيء آخر ويظل يتقلب على جمر من النار.



استيقظ مفزوعاً على اثر حركة غير عادية قي ساحة المركز..فوجد الضابط "مسعد" وضابط المباحث يقودان عدد كبيراًمن المقبوض عليهم والمشتبه في قيامهم بجريمة قتل الجنود..ظل ينظر إليهم ويفرك عينيه لعله يجد أحداً من الاثنين الذين كانا معه..فلم يجدهما..فحمد الله في نفسه.

سرعان ما تم ربطهم بحبال وانهال عليهم الضابط "مسعد" بالضرب ومعه باقي الجنود..ظل يصرخ داخل نفسه "كفاية..حرام عليكم..دول ولاد ناس..دول مظلومين..دول اخواتكم وحالهم زي حالكم"..لمحه الضابط "مسعد" فصرخ في وجهه وقال:

- انت هتقف تتفرج يا مجند..خش مع زمايلك..دول اللي قتلوا مجندين زيك.

تكاسل "صاوي" في تنفيذ الأمر..فجرى الضابط "مسعد" إليه وجذبه من ملابسه وقال له:

- انت اطرش ما بتسمعش..أنا شاكك في أمرك يا واد انت من أول يوم شفتك فيه..إيه حكايتك يا واد انت.

لم ينقذه من يديه وسبابه وشتائمه إلا المأمور الذي حضر ونهره على تعذيب هؤلاء المقبوض عليهم وهمس في أذنيه قائلاً:

– مش يمكن يكونوا أبرياء يا ضابط مسعد..أنا مش عاوز الافترا..اسألهم في محاضر لحد ما توصلوا للحقيقة.

نظر إلى المأمور وقد شعر بارتياح شديد..شعر انه أب طيب..ملامحه توحي بالأمان..علامة الصلاة واضحة على جبهته..فكر أن يجري إليه ويقبل يديه..فقد أنقذ هؤلاء المساكين من مذبحة محققة..ممكن أن تودي بحياة أحدهم..أو كلهم.

٥٤

فوجئ بزيارة "توفيقة" له في القسم..أدرك أن خطابه وصلها..لم يكن يتوقع أن تهتم وتحضر بنفسها وبصحبتها "جعلي"..تحمل إليه من كل ما لذ وطاب..دخلت إلى المركز بحجة أنها خالته..كانت ترتدي عباءة أنيقة وتضع على رأسها طرحة مزركشة وقد أفرطت في زينتها..فبدت أنوثتها.

شعر بحرج بالغ أمام زملائه..لم يكن يتوقع أن تزوره..كبدت نفسها

عناء السفر..لماذا؟! هل هي تحبه بالفعل كما يعتقد هو.

ناولته مبلغاً مالياً كبيراً..جلست معه اسفل شجرة موجودة في الساحة الداخلية للمركز..وقالت له مؤكدة:

– ربنا يهون الأيام يا صاوي وترجع لنا بالسلامة..الشغل مستنيك يا غالي.

بقدر ما أسعدته بزيارتها إلا انه شعر بحرج بالغ..حينما تقدم منها الصول "نجيب" واحضر لها كوباً من الشاي فأعطته عشرة جنيهات وأوصته "بصاوي"..فقال لها كالشحاذين:

– ده ابني يا ست الكل..وان شاء الله فترة جيشه هتعدي بسرعة ويرجعلكم بألف سلامة.

نظر إليها الضابط "مسعد" من بعيد نظرة ذات مغزى..خاف صاوي من مواجهته بعد انتهاء زيارتها.

جلست معه اكثر من ساعتين يتجاذبان فيها أطراف الحديث عن المهنة التي التصقت به رغماً عنه "زبال"..وما أن انتهت الزيارة..ظل زملاؤه يتندرون .. ويقولون له:

– خالتك حلوة يا واد يا صاوي ومش شبه نسوان بلدنا.

أما الصول "نجيب" فقد مال على أذنيه هامساً:

- أنا طالب القرب منك في خالتك يا واد يا صاوي..آه..حاكم أنا أرمل..وهاعيشها احسن عيشة في بلدنا..ما هو أنا باخد مرتب اكتر من ميت جنيه.

كاد يبكي وتمنى لو لم تزره..خاصة عندما اقترب منه الضابط "مسعد" وسأله في استنكار:

- معقول دي خالتك يا مجند صاوي..إيه الصعايدة اتمدنوا ولا إيه.

ظل صامتاً وواضعاً رأسه في الأرض ثم أردف الضابط "مسعد" وقال:

- انت يا واد من أول ما جيت وانت شكلك مش مريحني..أكيد وراك حاجة..وخصوصاً وان شكلك غير سنك..انت في سن واحد أربعين سنة على الأقل.

ظل يبتلع كلماته التي كان وقعها كالرصاص الذي أصاب قلبه.

يدور في دوامة العمل..ليلاً نهاراً..اسند إليه خدمات في جميع أنحاء المركز..أمامه وخلفه وبداخله وخارجه..حتى انقضى شهر وحل

لإجازته الشهرية..لم يصدق نفسه إنها أيام قد عدت من خدمته..لكن..ما هي إلا اقل القليل..سنوات أمامه..بحلوها ومرها..وما اكثر مرها..بالمجهول الذي يكتنف جوانب حياته.

ذهب مع زملائه إلى محطة السكة الحديد..أصابه دوار..يرى أشخاصاً كثيرين ينظرون إليه ويترقبونه..قال في نفسه "أكيد دول رجالة درديري"..ثم استدار للخلف في سرعة وخفة وعاد إلى القسم.

قابله الضابط "مسعد" واستفسر عن سبب عودته..فقرر أن مشاكل في بيته تحول دون الذهاب إليه فنظر له وضحك ضحكة ساخرة وقال:

– أنا باقول إن وراك حكاية..ومصيرنا هنعرفها.

عرض أمره على المأمور..الذي استدعاه وظل يسأله أسئلة عديدة..وخاصة إذا ما كان عليه ثأر من عدمه..كذب وقال:

– فيه مشاكل بيني وبين مرات أبويا..كرهتني في البيت.

أمر المأمور الضابط "مسعد" بأن تكون خدمته بمكتب المأمور "مراسلة"..لحين انتهاء فترة إجازته وعليه أن يكتب إقراراً بأنه لا يرغب في القيام بإجازته.

– يا ريس أنا كان بيني وبينه مترين..كنت هأخطفه وأخدره وأجيبه لحد عندك..لكن الواد كان بيبص يمين وشمال كأنه راكبه ميت عفريت.

ظل يفرك في ذقنه ويتحرك في المغارة في قلق ثم يعود ويتوقف ويضع يديه خلف ظهره ثم قال:-

– الكبار مش مطمنين..الواد بقى في حضن الحكومة وده واد خفيف ممكن يخر ويطرش كل اللـــي في بطنه في حجرهم.

قال الرجل دون تفكير:-

– يبقى لازم نهمل المكان اللي إحنا فيه عشان نقدر ننفذ المطلوب مننا..وصلنا من الكبار عشـــر تلاف باكو ولسة ما اتحركناش ولا خطوة واحدة مـــن يوم العملية اللي فاتت.

"درديري" ظل يفكر لحظة ثم قال:-

– يبقى من الليلة نلم نفسنا ونرحل عند الريس

- عنكب..خلي الرجالة تلم السلاح والفرش ومـا يسيبوش أي اثر لجرة تدل علينا.

٥٦

صرخت في وجهه..خرجت عن طورها وقالت له في تحدي:

- ما هو إن ما كنتش حتاخدني أروح أشوف ابني..حاروح لوحدي.

نظر لها في ضعف واستكانة:

- يعني انتي شايفاني قادر أحرك رجلي يا أم صاوي..أنا بقيت زي المشلول..ابنك هدني..ما اعرفش إيه اللي في دماغه..ولا هو عاوز يروح فين ولا حياخدنا على فين.

بكت كعادتها..ظهر ضعفها كما لم يظهر من قبـل..خرجـت مـن استكانتها لواقع الحياة وقالت:

- يعني إيه يا أبو صاوي..الواد معاده كان يجي من يومين..أنا حاسبة الأيام ومعلمة كل يوم بالحمرة على قبة الفرن..يكون جراله إيه بس يا ربي.

نهض متثاقلاً وخرج من البيت يبسمل تارة ويحوقل تارة أخرى.

ظلت تصرخ وتولول وتقول:-

- أهو انت ..مش كفاية البت اللي حملت وخلفت وما نعرفش شكل ضناها..اتحرمت من ابني وبنتي وهما عايشين..الله ينتقم من الظالم.

٥٧

التحق بمكتب المأمور..لاحظ أن الجميع يعاملونه معاملة خاصة..جعلوه يشعر بحماية ذلك الرجل..المرة الأولى التي يشعر فيها بالأمان..حتى الضابط "مسعد" بدأ يتحاشاه..لكن الأمر لا يخلو من نظراته الشرسة.

المأمور له استراحة صغيرة ملحقة بالمكتب وبابها من داخله..بها سرير صغير بسيط للغاية ودولاب صغير لملابسه..وملحق بالاستراحة دورة مياه ويوجد بوتاجاز مسطح صغير وبعض الأدوات لـزوم القهـوة والشاي وبعض الأطباق وملعقة وشوكة..هي عهدة سـلمه إياهـا الجندي المعين على المكتب..يعمل بتلك المهنة منذ خمسة وعشـرين عاماً..يقوم بفرش سجادة الصـلاة للمـأمور كلمـا أذن المـؤذن

فالمأمور رجل صارم..حازم..طيـب..مـؤمن..يـؤدي الصـلاة في أوقاتها..يصحو في الفجر ويؤدي الصلاة ويظل قابعاً بالمكتب حـتى نهاية عمله المكتبي الذي عادة ما ينتهي في الواحدة صباحاً..متى ينـام هذا الرجل؟! وبالمثل كان حاله مثل حاله..يظل مربوطاً أمام المكتب حتى يخلد للنوم ويصحو معه..عمل مرهق..رغم أن الكل يحسـدونه عليه..لكنه راضي به.

يقوم بشراء وجبة الغذاء له..تعجب..فأكله بسيط للغاية..مكون من جبن ابيض وزيتون اسود ورغيفين من الخبـز..وفي الليـل زبـادي وبقسماط..كان يظن أن رجل مثله يعيش عيشـة الملـوك..فهـو المأمور..الحاكم في البلدة كلها..عرف انه لا يقبل دعوة كبار البلـد للغذاء أو العشاء..بعكس الضابط "مسعد" وضابط المباحث الـذي يفوح من مكاتبهما رائحة الطيور والخضار والشواء..كيف هـذا؟! سمعه ذات مرة يحدث زوجته تليفونياً..لم يتلصص عليه ولكنها كانت مصادفة أثناء إعداد الشاي بعد تناوله وجبة الغذاء..عرف من خلال حديثه انه له ولدين بالتعليم الإعدادي والثانوي..وان والدته تقيم مع زوجته وأولاده..كان يقول لها:

– يا ثريا أنا بابعتلك كل شهر حوالة بتلت تربع المرتب وباعيش

الشهر كله بربع المرتب..أكل وشرب وشاي وقهوة..امسكوا ايدكم شوية

تعجب لحديثه وقال سبحان الله..انه لن يترل إجازة منذ ثلاثة اشهر..يعيش حبيس جدران المكتب وجدران المركز اللهم إلا إذا توجه لاجتماع بمديرية الأمن أو قام بالمرور على دائرة المركز.

أحب العمل معه..أحب رجال الشرطة الذين كانوا يصورونهم لنا كشياطين ترعب البشر..لكن هناك من هم شياطين..بل اكثر من شياطين..الضابط "مسعد"..وضابط المباحث والمخبرين..القسوة والسلطة هما سبيلهما في الحياة.

أنهى الفترة التي كانت مقررة كإجازة له..وعادت دفعته من الإجازات..وسيعود ليربط في ساقية الخدمات..رغم أنها لا تتعدى ثماني ساعات..إلا أنها قاسية..سيطرد من جنة المأمور المرهقة ..ويعود إلى نار الخدمات.

لكنه فوجئ بالمأمور يكلفه بالاستمرار في العمل..فشعر بالأمان وتمنى أن يقضي باقي خدمته بجوار ذلك الرجل.

صحا فجراً وأدى الفرض وتوجه إلى المكتب وكان المأمور قد بدأ أعمال يومه جالساً بمكتبه وممسكاً بسماعة التليفون وكل

وكل جسده يرتعش..أعد له كوباً من الشاي ووضعه أمامه فأمسكه بيده المرتعشة وظل يستفسر من الجانب الآخر على التليفون وأمامه ورقة يكتب بها في عجالة ويقول:-

- قبل الفجر بعشر دقايق..أيوة معاك..أيوة..على حدود آخر مركز لينا وأول مركز مديرية أمن أسيوط في الكامين..أيوة معاك..الوفيات اتنين صولات وظابط برتبة ملازم أول وتلت مجندين..إيه بتقول إيه يا نهار اسود.

وضع السماعة ثم رفعها مرة أخرى وطلب نائب المأمور الذي أتى من منزله في عجالة ودخل عليه وجسده هو الآخر يرتعش وقال:-

- خير يا فندم.

رد عليه المأمور ومازال كل جسده يرتعش:-

- مش خير يا سيادة النائب..مش خير..فيه واحد من ضمن الجماعة اللي هاجمت الكامين اللي بينا وبين أسيوط..كان مجند في قوات الأمن وكان من ضمن أفرادها خرج من تلت شهور من الخدمة.

جلس نائب المأمور وهو في حالة انهيار وقال:-

- إحنا هنلاقيها منين ولا منين يا فندم..وياترى اعترف؟!

قال المأمور وهو واجم:-

- مات..القوة ضربت عليه نار..واللي اتعرف عليه مجند ضمن قوات الكامين..كان معاه في سريته في قوات الأمن.

نهض المأمور وظل يعدل من هندامه ونهض نائب المأمور وقال له:-

- عاوزين نمر على جميع نقط التفتيش ودلوقت.

جلس "صاوي" على الأرض منهاراً عندما سمع حكاية المجند الذي كان ضمن الإرهابيين ثم خرج من المكتب وتوجه إلى خيمته ونام والأحلام والكوابيس للمرة الأولى تطارده منذ التحاقه بالخدمة في ذلك المركز ثم نهض مفزوعاً فوجد الساعة أصبحت العاشرة صباحاً ولم يعد المأمور ونائبه وضباط المباحث وقوة من ضباط المركز منذ خروجهم صباحاً..كان معاون النظام يقوم بعمل المأمور.

الخدمات مشدودة..الكل يخاف أن يلحق به ما لحق بقوة الكامين..حالة إحباط عامة داخل المركز.

عاد إلى مكتب المأمور يرتب الأثاث وينظف الأرضيات وهو محبط ثم جلس على أحد الكراسي ونام ولم يستيقظ إلا على كلمة "انتباه" وكان الوقت ليلاً..عاد المأمور وبرفقته قوة المركز وكل منهما توجه إلى مكتبه..وجلس المأمور خلف مكتبه ورفع سماعة التليفون واتصل

بالسنترال ليحول نمرة منزله إليه ووضع السماعة..ثم رن التليفـــون ورفع السماعة وحدث زوجته ولم يقل إلا كلمات معدودة:-

– أنا مش هأقدر أجي بكرة ومش عـــاوزك تعلقـــي علـــى كلامي..مع السلامة.

تأثر كثيراً..فالمأمور كان في سبيله للقيام بإجازته بعد ثلاثة أشـــهر..لم ير زوجته وأمه وأولاده..ثم شعر بدوار شديد وكاد يغمى عليه من الأحداث التي سمعها وربط بينها وبين فعلته فقـــال للمـــأمور وهـــو مسلوب الإرادة:-

– أنا يا فندم عاوز أقول لسيادتك على موضوع بس أرجوك تحميني.

نظر له المأمور في اهتمام وقال:-

– فيه إيه يا مجند صاوي.

اعترف أمام المأمور بما صدر منه..مرة في شجاعة ومرة في تردد لكنه ذكر كل شيء بالتفصيل.

قام المأمور مفزوعاً من على مقعده وتغيرت ملامحه كأنه يخافه ثم ظـــل يتحرك داخل المكتب ويقول:-

– لا حول ولا قوة إلا بالله..استغفر الله العظيم.

ثم عاد وجلس على مقعده وظل ينظر إليه في ذهول وكأنه لا يصدق نفسه..بينما بدا على "صاوي" الارتباك ثم انتابته رعشة..لم يخف من المأمور إلا الآن.

رفع المأمور سماعة التليفون في ارتبـــاك وأدار القـــرص..ثم وضـــع السماعة ولم يكمل المكالمة..ثم نظر إلى "صاوي" وقال في تردد:-

- لا حول ولا قوة إلا بالله..أنا..أنا مضطر يا ابني أحطـــك تحت التحفظ..لحد....

بادره "صاوي" قائلاً:-

- أنا يا فندم من إيدك دي لإيدك دي..أنا مش خايف مـــن المحاكمة ولا العقاب ولا حتى الموت..بس أبـــوس إيـــدك تمم جميلك عليا وخلي البيه النائب هو اللي يتحفظ عليا..راجل طيب ويعرف ربنا زي حضرتك بالظبط..بلاش البيه ظـــابط المباحث ولا الظابط مسعد..ممكن الظابط عرفـــان..برضـــة راجل طيب ويعرف ربنا.

نظر إليه وقال:-

- حاضر يا صاوي يا ابني.

ثم رفع السماعة في عدم تردد وأدار القرص وقال:-

- سعادة الباشا مدير الأمن..

٥٨

جاءت إلى المأمور مكالمة من مفتش فرع أمن الدولة..طلب منـــه ألا يشاع هذا الموضوع بين الجنود والضباط وقد اقترح عليه أن يعطيـــه تصريح إجازة صوري ويخرج من مبنى المركـــز بطريقـــة لا تلفـــت النظر..ثم يتقابل مع نائب المأمور في مكان يتفق عليه حتى يصـــطحبه لمبنى فرع أمن الدولة.

غير المأمور خطته وابلغ نائبه بما يجب اتباعـــه في ضـــوء التعليمـــات الصادرة له..وتم تنفيذ الخطة ولم يلحظ أحد إلا الضـــابط "مســـعد" الذي وقع له تصريح الإجازة ونظر له نظرة نارية وعيني "صـــاوي" تقطر حزناً..لا يخاف أحد إلا هذا الضابط ثم قام "مســـعد" بضـــربه في صدره وقال له في غيظ:-

- أنا حاسس انك وراك مصيبة من ساعة ما شفتك..لو بايـــدي كنت مزعتك بايدي..انصراف يا مجند.

خرج "صاوي" من القسم يجرجر قدميه..المرة الأولى التي لم يبال

بما سيحدث له..لقد ارتاح ضميره وخرج من جسده الشبح الجاثم على أنفاسه.

عند مزلقان السكة الحديد وجد نائب المأمور..قائداً لسيارة الشرطة وليس معه أي حراسة..تعجب..الهم وثقوا فيه..لأن اعترافه كان عن قناعة في داخله.

توجه إلى السيارة وركب بجوار نائب المأمور..وانطلقت السيارة إلى مبنى فرع أمن الدولة..لمح أثناء نزوله سيارة ضابط مباحث المركز كانت تتعقبهم..إذن لا ثقة في مجرم..ولكن تقربه من المأمور وحبه له جعله لا يهاب شيئاً خلافاً لطبيعته المضطربة.

٥٩

وقف أمام أحد ضباط مباحث الفرع وحده..بعد أن عاد المأمور وسلمه والذي احضر دوسيراً وكتب عليه "م صاوي الراوي ١٩٩٥"..وقال في نفسه الميم تلك تعني مجند..أو ملف..أخرج ورقة..تلاها عليه شاملة اسمه وبلدته وتاريخ ميلاده وتاريخ تجنيده وتاريخ الحادثة وإقرار مكتوب باعترافه..فأشار برأسه بما يفيد صحته وكأنه يتخيل.

أن كل ما يحدث لم يخرج عن المجرى وكل شيء سيكون قد ارتضاه وتوقعه وكأن قلبه خلا من القلق.

ثم بدأ ضابط المباحث يسأله عن الحادثة وكيف تمت وعن شركائه فكان يقرر أنه يعرف شكلهم ولا يعرف سوى الشخص الذي يدعى "درديري" وأنه لا يعرف من اشتركوا معه في الجريمة ولا أسمائهم باستثناء الشخص الذي كان معهم وأطلقوا عليه عياراً نارياً من سلاح مكتوم الصوت وتذكر اسمه..وتبين من التحقيق أن هذا الشخص لم يتعرف عليه أحد ولم يبلغ أهله عن غيابه ووضع في المشرحة مدة طويلة حتى تم دفنه وقد حل لغزه وبدأت التحريات عنه من خلال اسمه.

شعر الضابط بغيظ شديد من "صاوي" فقام من خلف مكتبه وحاول ضربه ثم تراجع....لاحظ ذلك الأمر مفتش مباحث الفرع فسحب الأوراق من يد ذلك الضابط وتولى الاستجواب بنفسه.

سأل "صاوي" سؤالاً ظن أنه بعيد عن الموضوع فقال له:-

- بيعاملوكم معاملة كويسة في قسم قوات الأمن وفي المركز..وبيوصلولكم التعيين بحالة جيدة وبيصرفوا مرتباتكم مظبوطة في وقتها..وبتترلوا أجازتكم في مواعيدها؟!.

صمت "صاوي" لحظة وقال:

– المعاملة الميري ميري بس فيه ناس طيبين وبتعاملنا كويس وبتخلينا حاسين بالأمان..زي الضابط عزت في فرق الأمن والمأمور ونائب المأمور..وفيه ناس بتخلينا عاوزين نموت نفسنا بس مش هاقول زي مين..وبالنسبة للتعيين..اغلبنا ما بيتحصلش عليه في بيته..على الأقل بناكل لحمة وفراخ ورز وخضار وفاكهة..وده في كل عمره ما يتوفر في بيت حد مننا..والمرتبات بتتصرف في ميعادها ومظبوطة وإجازاتنا بالساعة.

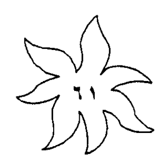
سأله رئيس مباحث الفرع عن السبب الذي يكون دافعاً لاشتراك أحد المجندين في عملية إرهابية بعد إنهاء الخدمة..فقال له "أنا في القضية دي مقهور ومجبور ومأجور..وماليش أي أهداف ضد البلد..رغم إن الناس كلها كفرانة من المعيشة".

تأكد لدى رئيس مباحث الفرع..أن الحادث الذي حدث لقوة الكمين وقتل فيه المجند السابق..الإرهابي الحالي..قد يكون لسوء معاملته أثناء فترة تجنيده مما ولد في نفسيته حقداً تجاه الجهاز بل والدولة.

بعد اكثر من عشر ساعات تحقيقات..حجز "صاوي" في الفرع..لحين التصـــرف في أمـــره فالقضـــية باعترافـــه تعتـــبر غـــير متكاملـــة الأركان..والجريمة كانت على الشيوع على حد قوله فقد يكون قتل أو أصاب أحد المصابين وبالتالي لن تعرض على نيابة أمن الدولة قبل التوصل لمعلومات تدين رأس الحية التي دبرت وتولت تلك العمليات بعد ثلاثة أيام..ارتدى الجميع ملابس مدنية..ضابط مباحث الفـــرع والمخبرين و"صاوي" واستقلوا سيارة أجرة يقودها أحـــد المخـــبرين وتوجهوا للمكان الذي ركب منه السيارة حتى أســـيوط..توقفـــت السيارة عند المكان الذي أشار إليه..وتمت معاينتـــه دون أن يشـــعر أحد..وقد أشار إلى الطريق الجبلي الذي نزل منه إلى الطريق العـــام وركب السيارة الربع نقل إلى أسيوط..وبحساب الـــزمن تقريبـــاً..تم تحديد المسافة والمكان..فانتقلوا إليه وبالفعل وجدوا أثـــاراً متبقيـــة لبعض الطعام والزجاجـــات الفارغـــة للميـــاه والخمـــور والميـــاه الغازية..وبقايا نيران لم تطفأ بعد.

بدأ رئيس مباحث الفرع يطمئن إلى شهادة "صاوي".."فقد اعتـــبره

شاهد ملك..حتى يتضح دوره في الجريمة على وجه التحديد".




وهو في المكان المتحفظ عليه..سمع صراخ لأناس كثيرين فأدرك أنهم يُضربون..لماذا؟!..وعاد يفكر في حياته بعد أن يخرج من هذا الأمر الذي وضع نفسه فيه بإرادته وقناعته..قطع تفكيره أحد المخبرين وطلبه لمقابلة مفتش الفرع..هناك وجد شخص أمامه أوراق وأقلام ذات ألوان عديدة..وأعاد سؤاله عن أشكال المشتبه فيهم..إنه لا يتذكر إلا شكل من يدعى "درديري"..بدأ يعتصر ذهنه ليصفه ويتذكر أدق التفاصيل في وجهه منذ أن سافر معه أول مرة في القطار وبدأ الرسام يرسم ما يتذكره من تفاصيل حتى بدت الصورة التي وصفها أقرب إلى شكل "درديري" وتذكر أشياء أخرى..فهناك ما يشبه الزيتونة الصغيرة أسفل عينه اليسرى فأضافها الرسام..فصاح "صاوي" في فرحة وقال:-

- هو ده أقرب شبه لدرديري.

لمض الرسام..وقام بتصوير الرسم عدة صور وناولها للمفتش الذي استدعى أحد الضباط وأمره بإرسال صور لمديريات الأمن بالوجه القبلي..للتعرف على ذلك الشخص.

بدأ المفتش يشعر بارتياح وشكر "صاوي" ووعده للمرة الثانية انه سيكون شاهداً على الحادث ولن يمسه أي أذى..فطلب منه "صاوي" رؤية أهله..فوعده المفتش بتنفيذ ما يربو إليه.

٦٢

في مساء نفس اليوم فوجئ بوجود أبيه..الذي حضر لرؤيته وبدا مفزوعاً..فقد تم إخطار مديرية أمن أسيوط وتم إحضار أبيه معززاً مكرماً بسيارة أجرة يرافقه ضابط يرتدي الملابس المدنية حتى لا يلفت النظر بين أهل بلدته.

ظل أبوه يبكي..لا يفهم ما حدث..ظن أن ابنه مات فأرسلوا إليه بطريقة لم يعهدها أحد من قبل الشرطة..لاستلام الجثة..طمأنه "صاوي" وقال له متفاخراً:

– ابنك جدع يا آبا..وعمره ما يغضب ربنا..واعرف اني في

أمان بين ناس اكتر من أهلي وناسي.

حاول الأب أن يستفسر عن سبب حضوره لهذا المكـــان الـــذي لا يعرف ما هو..فأكد عليه "صاوي" ألا يسأل كثيراً ولا يعلم أحداً من أهل بلدته بالأمر..ثم حضر المفتش وربت على كتف الأب وقال له:

– ابنك في أمان يا أبو صاوي..بس يا ريت تنسى انك جيـــت من الأصل عشان تشوفه أو أي حد يعـــرف ازاي جيـــت وليه..فاهم يا أبو صاوي.

الأب في ذهول مما هو فيه..ولكن شعر بالأمان تجاه ابنه وعاد في نفس السيارة برفقة الضابط.

٦٣

لم يخل الأمر من أسئلة زوجته الـــتي انهالـــت عليـــه..وكـــذا ابنـــه الصغير..فقال لهما وهو منهك القوى:

– يا أم صاوي ابنك بخير..وان شاء الله هيكون علينا وش خير وما تسأليش اكتر من كده.

وما هي إلا لحظات..واعدت الأم الطعام..فمد الرجل يده وبســـمل

وقبل أن يضع اللقمة في فمه..سمعوا طرقات على الباب قـام علـى أثرها مفزوعاً لكنه تردد في فتح الباب وظل ينظر إلى زوجته وابنـه وقال:-

- استر يا رب.

تحركت الأم نحو الباب وفتحته..فوجئت بوجود ابنتها وقد أصـابها الهزال..سألتها أمها على الفور:-

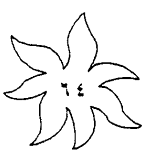
- أمال فين جوزك وفين ابنك والا انتي ما ولدتيش.

جلست الابنة منهارة تبكي وتولول وتقول:-

- الواد اللي استنيته يعوضني مات بعـد شـهر..والجبـان طلقني..وصلني لحد البيت ومشي وقالي كل واحـد يـروح لحاله يا بنت الناس.

صرخت الأم وولولت وانزوى الأب وجلس على الأرض ووضـع رأسه بين يديه وظل يقول:-

- اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا يا رب.



طلب من المخبر أن يقابل مفتش الفرع فاصطحبه المخبر إليه..وقــف أمامه مبتسماً فسأله المفتش عن سبب المقابلة فقال له:-

- أنا افتكرت حاجة مهمة يا سعت الباشا..حاكم الواحد لو يعرف أنه هيتسأل في كل حاجة في حياته كان جاب مسجل وسجلها كلمة كلمة.

اعتدل المفتش وسأله في اهتمام:-

- ايه بقى اللي افتكرته يا مجند صاوي.

قال وهو يكاد يقفز من الفرحة:-

- الدكتور..الدكتور اللي عرفت من كلامهم إنه مفصــول من الخدمة..أنا افتكرته دلوقتي كويس أوي..الراجل اللــي اسمه درديري كان بيقوله يا دكتور رمزي.

انفرجت أسارير المفتش وقال:-

- الله ينور عليك..احكيلي بقى بالتفصيل.

وحكى "صاوي" ما دار في هذه الليلة مما تذكره وطلب مفتش الفرع

ذكره "صاوي"..وبعد عشر دقائق..احضر الموظف ورقة بها بيانات كاملة عن ذلك الطبيب..الذي كان يعمل بأحد مستشفيات أسيوط وفصل من الخدمة لأخطائه المتكررة في العمليات الجراحية التي توفى على أثرها عشرة أشخاص..إهمالاً منه..وآخر ضحاياه..مرزوقة متولي الصدفي..وقد رفعت عليه قضايا من أهل الضحايا..وفصل من الخدمة..ثم أطلق لحيته وانتظم في جماعة التبليغ والدعوة..وهي جماعة مسالمة لم يسبق تورطها في أي قضية من قضايا الإرهاب.

كاد المفتش يطير فرحاً للوصول لمعلومة هامة تحل الغاز القضية..وما هي إلا دقائق قليلة مرت..ومثل أمامه أحد الضباط ومعه تقرير يفيد أن الرسم الذي وزع على مديريات الأمن..يؤكد أن الشخص المشار إليه يدعى "عياد المعصراوي"..من مواليد أسيوط ومقيم بالمنيا ومسجل شقي خطر..وتوقف نشاطه الإجرامي منذ اكثر من ثلاث سنوات..ولا توجد أي معلومات عن تورطه مع جماعات إرهابية..ولم يستدل على عنوان ثابت للمذكور وجاري التحريات عنه وعن الأماكن التي يتردد عليها.

أدرك المفتش أن اغلب معتادي الجرائم الجنائية..اقلعوا عنها وشاركوا في العمليات الإرهابية..فهي آمنة بالنسبة لهم ولا تثير

الشك حياهم كما أهما تعود عليهم بمبالغ طائلة.

ابتسم في وجه "صاوي" وقال":-

- قربنا نوصل يا بطل..بس..انت هترجـع قـوات الأمـن وإجراءات بسيطة هتتعمل معاك..وما تقلقش منـها..انـت عارف القانون.

أطرق "صاوي "لحظة ثم رفع رأسه وقال للمفتش:-

- يا فندم أنا اعترفت بخاطري ومافيش حد ضغط عليا واتمنى إني ألقي مقابل للخير اللي بأعمله.

قال المفتش في تأكيد:-

- طبعاً يا ابني..انت مجند في جهاز وزارة الداخلية..يعني انت ابن الحكومة وماحدش هيخاف عليك أكثر مننا..بس يا ريت تصبر زي ما قولتلك وما تعتبرش الإجراءات الشكلية اللـي هتتاخد معاك..عدم ثقة فيك أو تمثل أي إهانة لكرامتـك أو إنسانيتك.

جرى "صاوي" ناحيته وحاول يقبل يد المفتش الذي سـحب يـده بسرعة وقال له معاتباً:-

- إياك تعمل كدة تاني معايا او مع أي حد..انـت مجنـد في

في وزارة الداخلية..لك كرامتك ولك حقوق وعليك واجبات.

٦٥

في مركز الشرطة..دخل الضابط "مسعد" إلى المأمور وأبلغه بغياب المجند "صاوي الراوي" عن الخدمة..فنظر له المأمور برهة..ثم قال:–

– إعمل إجراءاتك يا حضرة الظابط..بس ما تخطرش مديرية الأمن للبحث عنه..اخطر قسم قوات الأمن وبس..مفهوم.

بعد أن خرج ظل المأمور يفكر وقال في نفسه:–

– صحيح ظابط كويس وذكي لكن لئيم ونفسيته مش مظبوطة.

توجه إلى نائب المأمور وعرض عليه الأمر مرة ثانية وكأنه لم يعرضه على المأمور..فقال له نائب المأمور:–

– إعمل إجراءات محضر الغياب..ويشطب من القوة بعد ٢١ يوم وتخطر قسم قوات الأمن وما تبعتش إخطار بالبحث عنه..دي تعليمات السيد المأمور.

ظل "مسعد" ينظر إليه وتسمر في مكانه لحظة ثم خرج مـــن مكتبـــه وتوجه إلى ضابط المباحث الذي تظاهر بعدم علمه بأي شيء عن هذا المجند وقال له في عدم اهتمام:-

- إيه يا حضرة الظابط مسعد أنت شاغل نفسك بالواد أكتر من اللازم ليه..نفذ اللي قالك عليه المأمور والنائب.

خرج من عند ضابط المباحث ينفخ..وقال "هناك ســر وراء هـــذا المجند"..إحساسه الأمني يؤكد له أنه متورط فيأمر ما وساقه فضـــوله لمعرفة كنه هذا الشيء ولكنه لم يصل إلى نتيجة.

٦٦

المخبر أيقظه من نومه قبل الفجر بساعتين واصـــطحبه إلى مكتـــب مفتش الفرع..هذه المرة شعر بخوف شديد وغرابة من موقف المفتش الذي أخبره أن نائب المأمور في سبيله للحضور لاستلامه.

وما هي إلا خمس دقائق لا اكثر..دخل نائب المأمور واستلمه وقـــال له المفتش مؤكداً بعد أن لاحظ التغير الذي اعتراه:

- ما تخافش يا صاوي..أنا وعدتك..ولو فيه أي تجاوز معاك

اطلب تتصل بيا بالتليفون..وأنا هاكلمك على طول..والسيد نائب المأمور سامع كلامي.

ثم نهض وصافحه في حرارة..فرت الدموع من عيون "صاوي" وقال في انكسار:

- أشوف وشك بخير يا سعت الباشا.

خرج من مبنى الفرع صحبة المأمور..وحدهما..حتى وصلا إلى سيارة نائب المأمور وكان يرافقه ضابط المباحث هذه المرة..وسيارة تقف على بعد يركب فيها معاون النظام بالقسم..ولا تصطحبهم أي قوات.

انطلقت السيارة..ثم تبعتها السيارة الأخرى عن بعد حتى وصلت إلى قسم قوات الأمن..فوجد القائد يقف على باب القسم ويبـــدو انـــه على علم بوصولهما..فأدرك "صاوي" أن الأمر غير عادى..وهو يغط في نوم عميق..وكل تلك الإجراءات قد تم عملها في سرية تامة.

لمح الضابط "عزت" يقف بجانب القائد ونزل الجميع من الســيارات وناول نائب المأمور القائد دوسيه مغلقاً..وتم تســليم "صــاوي" إلى الضابط "عزت" فتنفس الصعداء..انه رجـــل طيـــب ويتقـــي الله في معاملة المجندين..انصرفت السيارات عائدة..وانطلق القائد إلى مكتبه

والضابط "عزت" و"صاوي" ثم قام بفض الظرف وقرأ الأوراق ونظر

إلى "صاوي" وقال:-

- بناء على تعليمات السيد الحكمدار..هتوضع تحت التحفظ العسكري.

ابتلع "صاوي" ريقه وكاد يصاب بدوار ولكن القائد طمأنه وقال:-

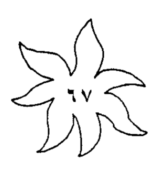
- ما تخافش يا ابني إنت هنا في بيتك وبيت إخواتك..والتحفظ العسكري بسيط مش شديد..يعني هتتحرك بحريتك داخل المعسكر..وهتتنقل من سري... لسرية الظابط عزت..ودي إجراءات مش الغرض منها إيذائك بالعكس فيها مصلحتك..احنا مقدرين اللي انت قولته.

انفرجت أسارير وجهه وقال في تلقائية:-

- يعني مش هأنزل أجازات يا فندم.

أطرق القائد لحظة ثم قال:-

- إنت مش عاوز تنزل عشان تشوف أهلك..إحنا هنجيبهم يشوفوك..كل أسبوعين أو تلاتة بالكتير.




يتحرك داخل المعسكر..ويتبعه زميل مجند أينما تحرك يتعقبه..حتى يعود لينام بالعنبر..أدرك أن ذلك هو نظام التحفظ العسكري البسيط..تراقب تحركاته وسكناته..شعر بملل شديد..قال في نفسه "أهي الخدمات كانت بتضيع الوقت..يا ترى أنا غلطان لما اعترفت..أنا لو ما كنتش اعترفت عمرهم ما كانوا هيوصلوا للعصابة ولا ليا".

الضابط "عزت" يطمئن عليه بنفسه..يتأكد من وصول التعيين إليه في مواعيده..دائماً يقول "شد حيلك..هانت انشاء الله" على قدر ما كان كلامه يطمئنه على قدر ما كان يخيفه..ما المقصود بكلمة "هانت"؟

ذات ليلية كان الضابط "عزت" منوباً بالمعسكر..استدعاه وظل يتحدث معه ودار حديث طويل بينهما وقال:-

– أنا عرفت طراطيش كلام عن موضوع اشتراكك مع إرهابيين..إيه الحكاية بالظبط.

حكى له أدق التفاصيل..ثم سأله:

- انت نادم انك اعترفت؟
- لأ يا فندم..أنا كنت هاموت مخنوق من نفسي لو ما اعترفتش.
- حاسس انك غلطت؟
- طبعاً..بس ما كنش قدامي غير اللي عملته..رغم أني ما عرفهوش..بس الفقر وذل العيشة هما اللي وصلوني لكده.
- بتكره الشرطة يا صاوي.

صمت لحظة ثم قال في تردد:

- كل الناس بتكره الشرطة.
- حتى بعد ما بقيت مجند فيها وبقى قدام عينيك العبء اللي على الجهاز..انت عارف إن الأمن ضرورة ما تقلش عن الأكل والشرب.
- بس يا فندم الناس ما تعرفش كده..الناس يهمها المعاملة..ومعاملة الشرطة للناس فيها عافية وتسلط.

ضحك "عزت" وقال له:

- انت متعلم؟

أنا تعليمي على قدي وبأفك الخط..بـــاعرف اقـــرا واكتـــب كويس وباقرا الجرنان.

- وايه تاني تاعبك في حياتك؟
- الناس كلها وحشة..زي الشـــرطة بالضـــبط..ســـواء في مستشفى أو في أي مصلحة حكومية..بيزهقوا النـــاس في عيشتهم.

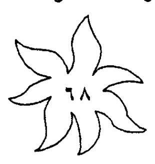
ضحك "عزت" ثم قال:

- يعني مش الشرطة بس..شوف يا صاوي أنا مش هاحسبك فرد في الشرطة..لأنك ضيف عليها لوقت..مهمـــا طـــال مصيره ينتهي..بس زي ما انت بتقول فيه جهات بتتعامـــل وحش مع الناس وماهياش شرطة.
- يا فندم أنا حبيت ناس كتير أوي في فتـــرة تجنبـــدي..زي حضرتك وزي القائد والمأمور ونائب المأمور..لكن أنا باكره الضابط مسعد.

الضابط "عزت" كشر عن أنيابه وتغيرت لهجته وقال:-

- الزم حدودك يا مجند وما تغلطش في حد من رياستك.

وجم وتكهرب جسده إلى هذا الحد يتغير الضابط الطيب ..يا ليته ما فضفض معه ويبدو أنهم كلهم "قطعية واحدة من لحم مشغت..وما بيعضوش في بعض".
نهض الضابط "عزت" وأمره بالانصراف على العنبر.



السرية التي الحق بها..سرية الخدمات المعاونة..أفرادها من خدمات مكاتب الضباط..وقوة المطبخ..والإطفاء والصناع من كهربائي ونجار وسباك..الخ..يخرجون من العنبر صباحاً إلى أعمالهم..يبقى وحيداً في العنبر..مع مجند..يقوم بمراقبته أو حراسته..الأمر سيان..اصبح كالكلب الأجرب..وبعد عن زملائه..منهم من .. قيد حريته بأشياء وجرائم كثيرة تنتشر بين التجمعات..منها السيئ والأسوء والمشين..يندم أحياناً انه اعترف عندما تضعف نفسه البشرية.
اقترب من المجند المكلف بحراسته وسأله عن الجرم الذي ارتكبه..ولكنه التزم الصمت..ثم باغته هو متسائلاً عن المجند الإرهابي

الذي قتل في الكمين..ومدى معرفته به..فقال المجند زميله.انه كان في السرية المجاورة لهم..كان مشاغباً..عمله بالملكية قبل أن يجند..صبي في مقهى بأسيوط..ودائماً زبوناً مستديماً في سجن المعسكر..وقد عين في الكمين الذي تعرض لحادث الإرهاب لمدة أسبوعين فقط وعاد مرحلاً للمعسكر لأنه اشتبك مع أحد "الصولات" من قوة الكمين.

خرج من العنبر..من سجن صغير..إلى داخل المعسكر..السجن الأكبر..ينظر إلى أبراج الحراسة التي تحيط بها وعلى الجنود يوجهون أسلحتهم إلى المنطقة المحيطة بالمعسكر..هل هو من قبيل الولاء والانتماء..أم الخوف من مخالفة الأوامر حتى لا يتعرض للجزاءات وكل واحد منهم يعد الأيام حتى ينتهي تجنيده على خير..ليعود لأهله وناسه..ليأكل طقة واحدة من طعام متواضع للغاية..هنا يأكل ثلاث وجبات..كاملة القيمة الغذائية..لابد أن يكون سليم البدن وفي صحة ولياقة تسمح له بأداء الخدمات المكلف بها.

لمح الضابط "عزت" يمر على المطبخ..يقف معه مجند يشكو أن نصيبه من التعيين منذ تجنيده قطعة من الدهن الخالص..ليس بها بصيص من اللحم..فاستدعى مندوب التعيين الذي قال له:

- يافندم اللحمة فيها حسب العقد..عشرين في المية دهن..محسوبين من التعين ومحسوبة وجبة هو حظه كدة..دايماً الدهن نصيبه..والله يا فندم إحنا كنا بنشتري كيلو لحمة في العيد الكبير..كنا بناخد نصه دهن ونصه لحمة..المتعهد ملتزم بالعهد وبيخاف ولكن لو الأمر بإيده لكان ورد عشرين في المية لحمة وتمانين في المية دهن.

ابتسم الضابط "عزت" وقال إليه:-

- أنا عارف بس احفظ شكل العسكري ده وعوضله الباقي من خدمته باللحمة واعفيه من تعيين الدهن.

ثم نظر ناحية "صاوي" ونادى عليه وظل يرفع من روحه المعنوية وهو يبتسم..لكن "صاوي" خاف أن يجاريه في الكلام حتى "لا ينقلب عليه"..ثم أردف الضابط قائلا:-

- النهاردة أهلك جايين في زيارة ليك..عربية طلعت من أسيوط عشان تجيبهم.

انفرجت أسارير وجهه..هذه المرة الثانية التي يرى فيها أبوه دون أن يتكبد ثمن المواصلات..تعجب لهذا الأمر المتناقض.

في الثالثة عصراً..حضرت أسرته بأكملها..الأب والأم والشقيق..والشقيقة..تعجب لوجودها معهم..عرف ما حدث لها..ظلت تقبل يديه عدة مرات.

الأم تقبل يديه وكتفيه وكل جزء في جسده وتنهمر من عينيها الدموع..الأب ظل واجماً مذهولاً.

استغرقت الزيارة ثلاث ساعات..لم يشبع منهم..تمنى أن يعود لجدران بيتهم الفقير..لا يهمه أن يأكل أو يشرب..أهله زاده وماؤه.

قبل أن ينصرفوا..توجه الأب للضابط "عزت" الذي كان يتابع الزيارة من بعيد وشكره على اهتمامهم بابنه وأهله..فالسيارة أحضرتهم وستغادر المكان دون أن يتكلفوا قرشاً واحداً..قال له في تلقائية:

– ما هو كلنا ولاد الحكومة..هو إحنا لينا غيركم..خد بالك من صاوي ده زي أخوك الصغير.

تأثر "عزت" بشدة لكلام الرجل..فهو أيضاً يجهل المصير الذي ينتظر "صاوي" بعد الزيارة..انهار "صاوي" باكياً..فربت الضابط "عزت"

على كتفه مشجعاً إياه..وقال له في دعابة:

- انت بقيت مهم أوي يا صاوي..الداخلية مكرسة كل حاجة لخدمتك.

مسح دموعه وقال:

- أنا باين عليا عملت قلق لكل الناس.

ابتسم "عزت" وقال:

- ده أنت حركت الدنيا كلها..مديريتين أمن..ومباحث أمن الدولة..ومساعد وزير..والوزارة كلها..شفت أنت مهم قد إيه.

سرح بتفكيره..وقال في نفسه "ما هو مش عشان خاطري ولا عشان سواد عيوني..يا ترى حالي كان هيبقى إيه..لو اتقبض عليا قبل ما اهرب؟!"

٧٠

يخرج صباحاً من العنبر ويظل يتجول بين جنبات المعسكر..حفظ كل أركانه..أثناء فترة التدريب لم ير ما يشغله عن التدريب الذي يشل تفكير المجند في بداية تجنيده..لا يتذكر شيئاً من المكان..إلا

شكل الحذاء البيادة وهو يحتك بالأرض الأسفلتية..كل خطوة تؤكد أنه يعيش حياة جديدة غريبة.

في الظهيرة عاد إلى العنبر فوجد مجنداً خرج لتوه من السجن وموضوع أيضاً تحت التحفظ العسكري..ولكن الشديد....عُين عليه جنديان لا تغفل أعينهما لحظة..إنه في سبيله للتقدم للمحاكمة العسكرية لفصله لسوء سلوكه فقد أمضى بالتجنيد عشر سنوات..يخرج من السجن ويهرب ثم يقبض عليه فيدخل السجن مرة أخرى ويبدأ العد من جديد لفترة تجنيد أخرى..تناولا الغذاء سويا..ساقه فضوله للسؤال عن المجند الذي قتل في الكمين..فوجئ أنه يقول:-

- ده كان واد جدع وغلبان ..ظروفه يعلم بيها ربنا..بيربي خمس أخوات كلهم زي عقل القصب المقزعو..اللي عنده سنة أو اتنين أو تلاتة..لكن الظابط فوزي ظابط أمن المعسكر كان معقده من عيشته..كل ما يرجع من أجازة يقعد يفتشه ويقوله طلع البرشام يا سبرسجي..هو الواد كان معاه حق أكل الأورطة اللي في رقبته عشان يبرشم..ده هو مبرشم من غير برشام.

وما أن انهى حكايته..دهش "صاوي" وقال في نفسه

"يا ترى الحقيقة فين وسط العالم ده..أهو راح فطيس ويا ويل أهله من الأيام السودة اللي هيشوفها أكتر ماهي سودة".

٧١

قبض على أحد الشابين اللذين اشتركا مع "صاوي" في العملية الإرهابية..وجده الخفير يختبئ في زراعات القصب وقدمه اليمنى مصابة بطلق ناري..لم يستطع اللحاق بأفراد التنظيم فاختبأ لمدة طويلة ولم يستطع الحراك وقد أصيب بغرغرينة..نقل إلى المستشفى وقد بترت قدمه اليمنى وما أن تماثل للشفاء رُحل إلى أمن الدولة وتم استدعاء "صاوي" فتعرف عليه..انهار ذلك الشاب "شرايدي" واعترف أنه قام بعدة عمليات إرهابية بأسيوط والمنيا..وأرشد عن مكان أفراد التنظيم فتحركت عدة حملات للقبض عليهم وعاد "صاوي" إلى معسكره.

٧٢

فجراً توفى أبوه..طار شقيقه إلى مكتب المحامي وأيقظه من نومه وطلب

منه الاتصال بالمنيا لإبلاغ أخيه "صاوي" بالوفاة إنـــه لم يـــره منـــذ فترة..علم أنه يقضي فترة تجنيده..بذل جهدا حـــتى توصـــل لـــرقم المعسكر وأبلغ القائد ثم بدأ يعد العدة لعمل مراسم تشييع الجنازة.

حتى صلاة الظهر لم يحضر "صاوي" اقترح المحامي علـــى زوجتـــه أن يدفن ولكنها ثارت وهاجت وماجت يجب أن يكون ابنه الكبير أول المشييعين.

قبل صلاة العصر..حضر في سيارة شرطة يصطحبه عد من زملائـــه الجنود والضابط "عزت".

سارت الجنازة حتى مقابر البلدة..كان أول المشيعين وزملاؤه يحيطون به..لم يزرف دمعة واحدة فقد تحجرت الدموع في مقلتيه حتى بدأت عملية دفن الجثمان فألقى بنفسه في المقبرة مع أبيـــه وظـــل يصـــرخ وبمعاناة شديدة أخرجوه من المقبرة.

في المساء أقام المحامي سرادقاً متواضعاً على نفقته لتلقـــى واجـــب العزاء..فضوله جعله يتفحص الجنود والضباط الذين أحاطوا به كأنهم يخافون أن يهرب..بعد أن انفض العزاء في العاشرة مساءاً..عاد معهم إلى سيارة الشرطة..أمسكت أمه بملابسه وظلت تصرخ وتقول:-

– واخدينه على فين..مش كفاية أبوه اللي راح..إحنا

عاوزينه..محتاجينه.

ظل يبكي..وسار معهم حتى السيارة التي انطلقت مسرعة..وانطلق المحامي نحو أمه..يهدئ من روعها..محاولاً الاطلاع على أمره..لماذا لم يمنح إجازة وهذا من حقه..وظلت الأم تبكي وتكتم في صدرها ما تعرفه..لكن فضوله جعله يلح عليها حتى يتمكن من مساعدته.

قالت وهي تولول:

- باين عليه واقع في مصيبة يا اخويا..والله اعلم إيه هي يا ابني.

ظل يفكر برهة..ثم صافحها قائلاً:

- شدي حيلك يا عمة..وان عوزتم حاجة..أي حاجة وفي أي وقت..أنا تحت أمركم.

٧٣

كان طريق العودة طويلاً..ساهماً..واجماً..صورة أبيه أمام عينيه..رحلة كفاحه..أماله التي لم تتحقق..فترة تجنيده التي حرمته منه..الموقف

الذي يعيشه..هو الذي وضع نفسه فيه..طريق اختاره بخاطره ومـا يحيط به من مجهول.

وصلوا المعسكر في ساعة متأخرة..أراد التوجه لدورة المياه..استعد المجند المعين خدمة عليه للذهاب وراءه..منعه الضابط "عزت" الـذي بدا متأثراً بحالته..عاد إلى العنبر..اطمأن عليه الضابط "عزت" وسأله:

- مش عاوز حاجة يا صاوي قبل ما أروح.

قال له في ذهول:

- أمي..أختي..اخويا الصغير..لوحدهم من غير فلوس..مـن غير شوال الدقيق.

نظر له متأثراً وقال:

- إن شاء الله الصبح هابلغ القائد..وما تحملش هـم مـن نحيتهم..إن شاء الله هنبعت لهم فلوس..فيه تعليمات عليا لرئيس النقطة انه يراعيهم ويبعت غفير يشوف طلباقم.

ألقى بنفسه على السرير..ونام نومـاً عميقـاً..ولكـن الكـوابيس والأحلام تطارده..يدفن مع أبيه..يجد جثته في العراء تنـهش فيهـا الغربان..يحاكم عسكرياً و الجنود الذين ماتوا في الحادثـة يطلقـون عليه النيران..الضابط "مسعد" يلسع ظهره بالسوط.

٧٤

أحضر المحامي نصف جوال من الدقيق وبعض الزيت والمسلى ويحملهم رجل يتبعه.."دق الباب عدة طرقات ففتحت الأم محزونة مهمومة لكن أسارير وجهها انفرجت عندما رأته..سلمها الأشياء وقبل أن يغادر المكان فوجئ بوجود سيارة شرطة يتبعها بلوكامين النقطة محملة بخيرات الله من دواجن حية ودقيق وأرز وزيت ومسلى ومتوجهة إلى بيت "صاوي"..استوقفه المحامي وسأله في حيرة فقال له الصول في غيظ:-

– والله ما أنا عارف ياحضرة الأبوكاتو..الحاجات دي جاية من العلاقات العامة بمديرية أمن المنيا بعربية مخصوص ..ليه؟..هو صاوي اترقى وبقى حكمدار.

عاد المحامي يفكر سارحاً وفضوله يقتله لمعرفة السر وراء "صاوي".

٧٥

حضر نائب المأمور لاصطحابه إلى فرع أمن الدولة..سر لرؤيته وقبل

يده وأكتافه..قال له:

- الفرج قريب يا مجند صاوي..اتقبض على صاحبك ورجالته..والمطلوب انك تواجههم.

على قدر فرحته..شعر بانقباضة شديدة..ثم ركب مع نائب المأمور سيارته..هذه المرة مع حراسة..استلمته من قائد المعسكر بأوراق رسمية.

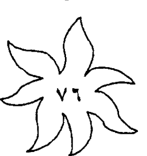
طوال الطريق يفكر في تلك المواجهة..يخشى أن يتقابل مع ضابط أمن الدولة الذي بدأ التحقيق معه..تمنى أن يقابله مفتش الفرع.

وصلت السيارة..هذه المرة امسك أحد الجنود بيديه..فأدرك أن الأمر قد تجاوز ما كان يفكر فيه..حقاً أن معاملتهم الحسنة لم تتغير..ولكن الأمر غير عادي.

واجهه المفتش به ورجاله..وقد نفوا جميعاً معرفتهم به..أو الاعتراف بجريمتهم..اصطحبهم نائب المأمور جميعهم إلى المركز ومعهم "صاوي" إلى المركز..حيث رافقتهم سيارة لوري مكدسة بجنود وضباط الحراسة.

حرر المحضر في المركز بمعرفة المأمور..لكنه ورجاله أصروا على عدم الاعتراف..فحجزوا على ذمة عرضهم على النيابة وعاد

"صاوي" للقسم صحبة نائب المأمور.



في صباح اليوم التالي زاره المحامي وعندما أبلغ القائد بتلك الزيارة وعرف أنه محامي قرر أن يعرف سببها وصلته بالجند..قال في تلقائية:-

- أنا بلدياته وأمره يهمني.

قال القائد في تأكيد:-

- بس.

صمت لحظة ثم قال في تردد:-

- والمحامي بتاعه.

تغيرت ملامح وجه القائد وقال في اهتمام:-

- ومين قالك إنه عاوز محامي.

تردد لحظة ثم قال:-

- أبوه..قبل ما يتوفى بيوم واحد.

رفع القائد سماعة التليفون واتصل بالحكمدار وتحدث معه هامساً ثم

وضع السماعة وقال له وهو يبتسم:-

- ما فيش مانع من زيارته..وإحنا مرحبين انك هتتدافع عنه..لأنه مجند كويس..وبيحب بلده..ونأمل إن براءته تكون على أيدك إن شاء الله.

انفرجت اسارير المحامي..وكأنه حصل على ضوء اخضر..بمعرفته تفاصيل الموضوع..بعد ما تأكد ان "صاوي" وقع في ورطة.

سمح له بزيارته في العنبر..وتركوهما وحدهما..وقد اندهش "صاوي" من زيارته فباغته قائلاً:

- خلاص يا صاوي كل حاجة اتعرفت.

قال في تردد وهو ينظر يميناً ويساراً:

- حاجة إيه اللي اتعرفت؟!

قال له انه اتفق مع القائد وبعد موافقة المسئولين على ان يترافع عنه في قضيته..تنفس "صاوي" الصعداء وقال:

- انا هاحكي لك كل حاجة.

حكى له "صاوي" تفاصيل ما حدث..وبعد ان سمعها المحامي قال له في تأكيد:

- بس لازم تقول اللي هاقولك عليه بالحرف الواحد.

اطرق "صاوي" لحظة ثم قال:

- اتفضل.

أكد المحامي عليه..أن الجريمة مشتركة بينه وبين اثنين آخرين..وان اتجاه المسئولين هو البحث عن مخرج له وعليه يجب أن يؤكد أن ما أطلقه من أعيرة نارية كانت في الهواء..لم يصوب تجاه أحد.

قاطعه "صاوي" قائلاً:

- بس أنا ضربت.

قال له في تأكيد:

- يا بني انت كنت يا قاتل يا مقتول..دافع الجريمة والنية الإجرامية مش متوفرين ناحيتك..اتمسك بالكلام اللي بقولك عليه لحد ما يتحدد ميعاد للقضية..انت بكرة ولا بعده بالكتير هتبقى في النيابة ولازم تقول اللي قولتلك عليه.

في امتعاض قال:

- بس المأمور هيقول عليا كداب..أنا قلت كله حاجة بالتفصيل

قال في غيظ وهو يضغط على أسنانه:-

– يا بني افهم..مافيش حد هيزعل منك ولا هيقول عليك كداب..كلامي مع القائد بتاعك بيؤكد إنهم واقفين معاك ونفسهم يلاقوا ثغرة تخرجك من القضية.

ظل يفكر لحظة ثم قال وهو يبكي:–

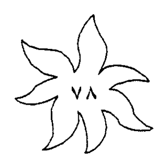
– بس اللي ماتوا ذنبهم في رقبتي..أنا لو خلصت من عذاب البشر..هأروح من ربنا فين دول بني أدمين مش فروج.

٧٧

حل ميعاد القضية..اقتيد مع المتهمين في حراسة مشددة ووضعوا جميعاً في القفص الحديدي..لم يخف ولم يرهب الموقف..حضر معه محامي بلدته..ولكن القاضي لم يسمح له بالكلام بل سأل "صاوي" مباشرة فقال الحقيقة كما هي ولم يعترف الآخرين..طلب القاضي من "صاوي" أن يحدد الشخص الذي كان يقود السيارة فأشار إليه رغم أنه كان ملثماً..إلا أن حاجبيه الكثيفين جعلاه يتعرف عليه..ذلك الشخص هو الذي كان يعرف جميع بيوت الشباب الذين يحضروهم

للقيام بالأعمال الإرهابية..الغريب أن ذلك الشخص بمجرد مناقشة بسيطة مع القاضي..اعترف بمكان الشاب الثاني الهارب ويدعى "أمين البسطاوي" و"عياد" اصر على عدم الاعتراف

افرج عن "صاوي" بضمان وحدته..وحبس الباقين حبساً مطلقاً وطُلب من المباحث التحري عن الشاب " أمين البسطاوي".



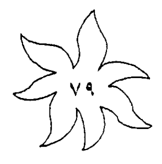

عاد إلى وحدته سعيداً لأنه اعترف بما حدث كما هو..وطلب من القائد إجازة ليزور أهله وينقلهم إلى القاهرة عند أقاربهْ "توفيقة"..فكر القائد لحظة ثم طلب منه أن يتقدم بطلب نقل لقوات أمن القاهرة ليكون قريباً من أسرته وبعيداً عمن يكون قد تبقى من عصابة "عياد".

وبعد ثلاثة أيام كان القرار بنقله إلى فرق أمن القاهرة..فحصل على إجازة وسافر إلى بلدته..وقابلته أمه بالبكاء والنحيب تارة والزغاريد تارة أخرى.

ذهب معها لزيارة قبر أبيه..ثم اخبرها بقراره في الانتقال إلى

القاهرة..فعارضته معارضة شديدة..ولدت في هذه القرية الفقيرة..امرأة فقيرة وتتمنى أن تموت فيها أيضاً فقيرة..ليس لها طموح في الحياة سوى أن ترى أبنائها بين أحضانها.

شقيقه الصغير وشقيقته أيضاً وافقا على رأيه وكان ولابد أن يجهزوا أنفسهم للانتقال للحياة الجديدة.




لملموا متاعهم فجراً ودون أن يشعر أحد من أهل البلدة..الأم تنظر للبيت وتبكي..ركبوا عربة كارو اقتادهم إلى المحطة..ركبوا القطار..المرة الأولى التي تخرج فيها الأم من البلد أو تركب القطار.

شقيقه الصغير كان فرحاً..شقيقته مكفهرة الوجه..تخاف المستقبل المجهول..والأم لم تتوقف عن البكاء.

وصلوا مساءاً إلى محطة باب الحديد..استقلوا سيارة أجرة حتى الجبل..ظلت الأم تنظر يميناً ويساراً في حسرة وقالت:

- هو ده آخر صبرنا يا صاوي يا بني..نخرج من جبل ونروح جبل.

لم يعلق..ساروا حتى وصلوا بيت "توفيقة"..طرق الباب فتحت له فتاة جميلة غير متكلفة تجمع بين صفات أهل القرية والمدينة..سألها عن توفيقة" التي سرعان ما جاءت وعندما رأته غمرتها فرحة بالغة..رحبت بهم ودخلوا جميعا..عرفها بأهله ورحبت بهم..وفي دقائق معدودة فرشت المائدة بما لذ وطاب..كانت تنادي على الفتاة التي لا تتجاوز السادسة بـ "رحاب".

بعد أن تناولوا العشاء ظلت أمه تنظر إليها في عدم رضا عندما لاحظت نظراتها لـ"صاوي"..هي امرأة وتفهم نظرات المرأة التي تحكمها الفطرة..ليس البيئة ولا المعرفة.

طلب منها سكنا لأسرته لحين انتهائه من الفترة الباقية من التجنيد..رحبت بهم في بيتها المتسع وكانت أمه وشقيقته يشعران بالحرج البالغ وخاصة ما ترتديه "توفيقة" من ملابس لا يألفونها بل ينتقدونها.

٨٠

في صباح اليوم التالي أهل نفسه للعودة إلى المنيا لاتمام عملية ترحيله لقوات أمن القاهرة وكلف شقيقه بمساعدة "توفيقة" حتى يشرب

أصول المهنة ويتقاضى أجرا يعينهم على الحياة ولم يتوان "جعلي" من اصطحابه معه لجمع القمامة.

عاد في القطار..توجه لقسم قوات أمن المنيا و كان المندوب المكلف بترحيله قد اعد ملف خدمته وقرار نقله.

ظل ينظر إلى المكان ولم يأت بمخيلته أنه سيتركه..كانت فترة في حياته لن ينساها..طلب من الضابط "عزت" أن يسمح له بالتوجه للمركز ليودع المأمور ولكن الضابط "عزت" أطرق وبدا عليه الحزن وأخبره أن المامور قد توفي منذ يومين فظل يبكي ويصرخ وكأنه فقد أباه فقال له "عزت":-

– انت ولد شهم يا صاوي.

عانقه في حرارة وظل يبكي ورافق المندوب في اتجاه محطة السكة الحديد..ركب القطار ولم ينقطع عن البكاء طوال الطريق..يتذكر المأمور..الرجل الطيب في حركاته وسكناته وصلاته وعباداته..كيف سيعود إلى أسرته بعد الشهور الطويلة التي قضاها بعيداً عنهم مشحوناً في نعش.

وصل القطار صباحاً إلى القاهرة واصطحبه إلى قسم قوات الأمن حيث عينه القائد خدمة على مكتبه لما سمعه عنه من حسن الخلق

والشهامة والمروءة..سمح المأمور له بإجازة ثلاثة أيام ليـدبر حالـه بالقاهرة..انطلق إلى الجبل فقابله "جعلي" بترحاب بالغ وأشاد بشقيقه الصغير الذي انضم إلى الكار ثم فاتحه بأمر الاقتران بشقيقته وأخـبره أنه يعرف ظروفها..هذا الأمر أسعد "صاوي"..أصبح له أهل وعزوة بالقاهرة التي أضيف لها أربعة نسمات علاوة على أهلها.

لم يتبق أمامه سوى أن يفاتح "توفيقة" بأمر اقترانه بها ولكنه فوجئ بها تخبره أنه اختارت له عروسه "رحاب" فلم يصدق أذنيه هل أنت عظيمة إلى هذه الدرجة يا "توفيقة" وقال في نفسه "الدنيا لسة بخير"..وكان شرطها أن يتم الزواج بعد انتهائه من الخدمة العسكرية وبراءته من القضية وأخبرته بظروفها فهي ابنة عمتها ويتيمة الأب والأم.

٨١

الأيام تتوالى..تضـيف إلى عمـره وتـنقص مـن أيـام خدمتـه العسكرية..كان يحصل على أجازته الشهرية في الأسبوع الأول مـن الشهر مما أعانه على القيام بتحصيل وهبة جمع القمامة وبدأ يتقـرب من "رحاب" التي تعلقت به وشيدت "توفيقة" له ولأسرته مسكناً من

المباني الخشبية وقالت له:-

- أنا ربنا ما ادنيش ولاد .. وعوضني بيك خير.

اخبرها أنه يدخر مبلغاً في دفتر التوفير..ورجاها أن يشتري دبلتين ليخطب "رحاب" على أن يكون الزواج بعد انتهاء تجنيده والذي اصبح على وشك الانتهاء منه..فرحبت بالأمر..وباركت أمه خطوبته..فشعر أن الحياة بدأت تفتح يديها لتستقبله بسعادة كم حلم بها.

٨٢

طلبت منه أمه أن تزور خاله..تردد في بادئ الأمر ثم اصطحبها إلى هناك وتركها دون أن يقابل خاله..على أن يعود لها بعد فترة..وجدها.."داليا"..تتأبط يد شاب ويترلان من العمارة وركبت معه سيارته الفارهة..لم يلفت نظرها رغم انه ظل يدقق فيها..ثم ضحك في نفسه ضحكة ساخرة.

عاد بعد ساعتين واصطحب أمه دون أن يصافح خاله..ثم طلبت أمه أن تزور السيدة زينب..تسمع عنها وعن مسجدها ومقامها..لكنها لم تره من قبل..اصطحبها إلى هناك..حيث دعت لوالده بالرحمة

ولأولادها بالخير.

ثم اقترح عليها زيارة مقام الحسين..فسر قلبها..وشعرت بأمان في ظل أولياء الله الصالحين..وطلبت منه أن تكرر الزيارة التي تثلج قلبها وتجعلها تقبل على الحياة في تلك المدينة التي تبدو كالمجنونة التي تتحرك دون هدف.

٨٣

أسبوع وتنتهي فترة تجنيده..المستقبل أمامه رحب..والحياة وردية..لا خوف ولا قلق..لا جوع ولا خوف من قلة الدقيق والضياع في قريتهم التي تمنى أن يمد يده بالمساعدة لأهاليها المقهورين..هل الحل أن يأتوا جميعاً للمدينة الواسعة ويفرغ الصعيد من أهله.

لكن..جاءت إشارة من مديرية أمن المنيا تفيد ضرورة عرضه مع الحراسة المشددة على محكمة أمن الدولة.

صرخ..كاد أن ينهار لكن القائد طمأنه قائلاً:

– ما تقلقش يا صاوي.

سأله في تلقائية:

– هما قبضوا على الدكتور اللي بينظم العمليات الإرهابية.

اطرق القائد وقال:

- للأسف..هرب بره مصر..لكن مصيره هينقبض عليه.

ضحك ضحكة ساخرة في نفسه ثم قال:

- يا ترى هيحكموا عليا بايه.

قال القائد في تأكيد:

- يابني قلتلك ما تخافش..على أسوء افتراض حتاخد حكـــم مع إيقاف التنفيذ.

ارتعش جسده وقال:

- طب يا فندم لو اداني حكم شديد.

قال له مرة أخرى:

- الوزارة هتقدم تقرير لرئيس الجمهورية..بالعفو عنك.

ظل يبسمل ويحوقل ويقرأ المعوذتين وقال:

- توكلت على الله.

تمت بحمد الله

٢٠٠٥/٧/١١

هذه الرواية..أماكن حدوثها..أشخاصها..زمانها..مجرد خيال لكاتب عايش أحداث مشابهة بحكم تجربته الوظيفية..تقترب من واقع كان مريراً فرض في فترة سابقة..نأمل ألا تتكرر.

المؤلف،،،،،

# الكاتب في سطور

عادل عبد الحميد القشطيلي.

مواليد ٢/٧/١٩٤٩ ابورفؤاد

لواء شرطة سابق حاصل على ليسانس الحقوق

وليسانس الآداب لغات شرقية.

موظف بالإذاعة والتليفزيون وعضو اتحاد الكتاب

وعضو رابطة الزجالين وكتاب الأغاني.

صدر له مجموعات قصصية

وابور أبو نور – حكاية راسد – قلعة صقر – حكايات حمدي وحمدي –

حوتـــ – [illegible] الحصر [illegible] عفريت – مدمن محاجة تفهيم جزء ٢.١ – مأمورية إلى

[illegible] – [illegible] وصيف سيس – [illegible] الميس والكلب عنتر – نقطة [illegible]

الروايات:

سجين زفتى – مولد رومانسي – عصر العرافة –

[illegible] – البوابة – سقطة في زمن السيد بعصور – حفرى وسبع

العشري – زهرة القصور.

قيد النشر –

م – حيل والقرب جزء١ –

– [illegible] – [illegible] سرق عمري – الكشف

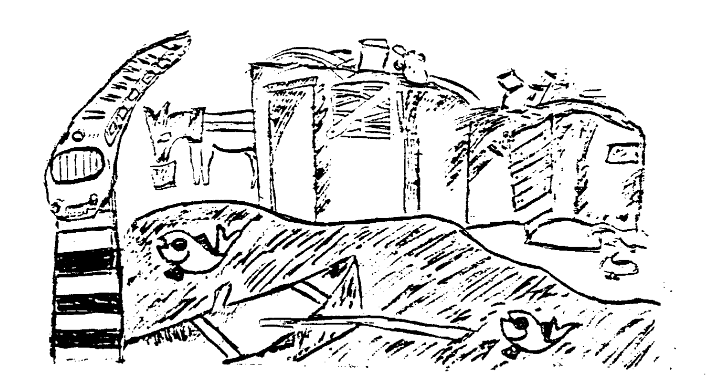


بورسعيد ٦ أكتوبر ع/٨٠ شقة ١٥

رقم الإيداع

٢٧١٣ / ٢٠٠٦

إلى اللقاء في العمل القادم بإذن الله.



# أطراف مدينة

رواية

عادل القنصل